

كتاب

تفاح الطيب

في

الخطاب النبوي

أثر

م. معروف الرصافي

ممتلك مبعوث

— ١٣٢٦ —

طبع بمطبعة الاوقاف الاسلام

بندار الخلافة العله

١٣٢٦ - ١٣٢٧

كتاب نفع الطيب في الخطابة والخطيب



تأليف

معلم الخطابة العربية في مدرسة الواعظين
بدار الخلافة العلية بمبعوث المنتفك

معروف الرصافي



الطبعة الاولى

طبع بمطبعة الاوقاف الاسلاميه
بدار الخلافة العلية

١٣٣٦-١٩١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمد لله وثناء عليه وصلاة وتسليما على محمد رسوله ووجهه وعلى
آله وصحبه وجنده وحزبه

وبعد فقد قرأت كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ونظرت فيه
بامعان فوجدت فيه من فنون البيان ما يفتق اللسان ويخلب الجنان
الا انه احتوى على الغث والسمين وجاء بالبخس والثمين فكم وجدت
فيه من درة الى جنبها خزفة ومن جمانة مقرونة بحصاة ومن تذور
ذهب يخللها مخشاب وكثيرا ما يخرج في كلامه عن الصدق فينساء
يتكلم عن شيء اذ تركه قبل التمام وخرج منه الى شيء آخر
لا يقتضيه المقام . وطالما وعد بذكر اشياء ثم لم يذكرها وذكر اشياء وهو
لم يعد بها واتقد خيل لي ان الجاحظ عند تأليف هذا الكتاب كان يأخذ
القلم فيكتب ما خطر له وعن من غير مراعاة نظير يطالب ذكر نظيره
وقربن يدعو الى اثبات قرينه حتى اذا كتب ماشاء الله ان يكتب ترك
الكتابة ثم عاد اليها في وقت آخر فاخذ يكتب ما خطر بباليه ايضا
دون مراعاة ما كتبه قبلاً وهكذا الى آخر الكتاب سوى ان الذي
كتبه كله لا يخرج عن حد البيان فالبيان هو الامر الجامع بين كل ما اثبتته
في ذلك السفر . فمن جهة انه لا قران بين اكثر الاقوال التي اوردها
كان كتابه اشبه شيء بكشكول العمالي ومن جهة انه كان يكتب فيه
ما خطر على باله مما سمع وروى كان كتابه اشبه بمفكرة يحملها المرء
فيثبت فيها كل يوم ما اراد اثباته من قول وعمل . وليس هذا بعجيب
فان عصر الجاحظ حديث عهد بالتأليف اذ كان المؤلفون ولا سيما كتب

الادب لا يعتمدون فيما يكتبونه الا على ما رووه وسمعوه واستظهروه وحفظوه . ولا يظن القارى انى اريد بكلامى هذا ان انجس الجاحظ كتابه او انتقصه حقه وفضله فان الجاحظ امام من ائمة الادب وجهته من جهابذة العرب فما انا من نظرائه ولا من كفاءه ولئن قصر فى كتابه هذا بعض التقصير فله فيه من الحسن الاحسان والفضل والافضال مالا يعفو اثره كزمان ولا ننوشه ايدى الفضلاء من ذوى البلاغة والبيان فهو على علاته درة يتيمة وطرفة كريمة وليست رسالتى هذا لامستخاضة منه ومالى فيها سوى التمهيع والترتيب فكأتى عمدت الى درر متفرقة فنصت عنها الرغام وجمعتها فى نظام فما انا فيها الامتطفل على موأد فضله ومغترف من بحر علمه وغاية ما هنالك انك اذا عنيت بالخطابة والخطيب وجئت الى كتاب الجاحظ فقلبتة ظهر البطن لم يجد فيه مما عنيت به سوى لمع متفرقة لا تشفى منك غلة ولا تبرد لك غلة اما اذا رجعت الى رسالتى هذه فانك تجد فيها ما يكفيك ولو سداداً من عوز فهذه الرسالة تغنيك فى هذا الباب عن كتاب الجاحظ ولا يغنيك كتاب الجاحظ عنها . والذى دعانى الى وضع هذه الرسالة هو انهم عهدوا الى بدرس الخطابة العربية فى مدرسة الواعظين بقسط طيبة ولم يكن عندى من الكتب التى ارجع اليها فى هذا الفن سوى كتاب الجاحظ المذكور فاستخرجت منه هذه الرسالة بعد ان طالعت بتدبر من اوله الى آخره اكثر من عشرين مرة وقد سميتها « نفع الطيب فى الخطابة والاطيب » والله اسأل ان ينفع بها الطالبين ويجعل اجرها للجاحظ رحمه الله انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير .

وانا الفقير اليه تعالى

معروف الرصافى

المبحث الاول

في

البيان

قال الجاحظ المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في اذهانهم الخادنة عن فكرهم مستورة خفية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة فلا يعرف الانسان ضمير صاحبه وانما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها واخبارهم عنها بما يدل عليها ويكشفها فيجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا . وعلى قدر وضوح الدلالة يكون اظهار المعنى فكلما كانت الدلالة اوضح وافصح كان المعنى اظهر . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان .

فالبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير كأشئ ما كان ومن أى جنس كان لان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شئ بلغت الافهام و اوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

واعلم ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطه الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية واسماء المعانى اى الالفاظ مقصورة معدودة ومحصلة محدودة فلا بد اذا من امور غير الالفاظ تكون رداً لها في الدلالة على المعانى . وجميع اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لا تنقص ولا تزيد . اولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال وتسمى نصبة والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات . ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بأشئ من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية اختها وهي التي تكشف لك عن اعيان المعانى في الجملة وعن حقائقها في التفسير .

ولاشك ان مدار الخطبة على البيان وان التفاضل الذي يجري

في الخطابة هو التفاضل الجارى في البيان لان الخطبة هي جملة من القول يقصد فيها الى الترغيب فيما ينفع الناس من امور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على المدح والفخر وغير ذلك . وكذلك الوصية الا ان الفرق بين الخطبة والوصية هو ان الخطب تكون في المشاهد والمحافل والمجامع والايام والمواسم والنفاجر والتشاجر ولدى الكبراء والامراء ومن الوفود في امر مهم . اما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين اولشخص مخصوص في زمن خاص على شئ خاص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته او سيد لقبيلته عند حلول مرض او محاولة نقلة او ماشابه ذلك .

ان كل الامم في حاجة الى الخطابة وكانت العرب من احوج الامم اليها ولذلك ارتقت في الخطابة مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الامم اذ لا يخفى ما كانت عليه العرب ايام جاهليتهم من الانفة والفاخر بالاحساب والانساب والمحافظة على نرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوفاع العظيمة . ولا شك ان كل قوم لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى ما يستنهض همهم ويوقظ اعينهم ويقبم فاعدهم ويشجع جبانهم ويشد جنانهم وينير اسجاناتهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم ان يستهان ولشوكتهم ان تستلان وتشنياً باخذ النار وتحرزاً من عار الغابة وذل الدمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا احوج الناس اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم . ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان .

وكان للعرب اعتناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بهم فكانوا يتخيرون لها اجزل المعاني ويتخبون لها احسن الالفاظ لخصيلا لغرضهم ونبيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائعة والمعاني الجزلة اوقع في النفوس

واشد تأثيراً في القلوب ولذلك ورد «ان من البيان لسحراً» والاذن للكلام البليغ اصنى واوعى . والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من اهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تخلق القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما .

ولما كان البيان لا يكون باللفظ فقط بل بغيره ايضا من الدلالات الاخر المتقدمة عدت اوضاع الخطيب واشارته باليد ونحوها في اثناء خطبته من تمة بيانه للسامعين ولذا كان من عادة العرب في الخطابة ان الخطيب منهم اذا تفاخر او تنافر او تشاجر رفع يده ووضعها وادى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذلك اعون له على غرضه وارهب للسامعين واوجب لتيقظهم . ومن عاداتهم ايضا في الخطابة اخذ المحصرة بايديهم وهي مايتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعصى ويشيرون بالعصا والقنا وكانوا يستحسنون في الخطيب ان يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره وسيأتيك تفصيل ذلك كله .

المبحث الثاني

ف

قوام الخطابة وآدابها

قال الجاحظ في كتاب البيان قال ابن جرير رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليتها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ وتعامها الاشارة .

تري ان ابن جرير قد ذكر في كلامه هذا ستة امور ثلاثة منها ضرورية فلا تقوم الخطابة الا بها ولا يكون الانسان خطيبا ما لم يحصل عنيا وهي الطبع والدربة ورواية الكلام . واهم هذه الثلاثة الطبع ولذا جعله ابن جرير رأس الخطابة فكما ان الحيوان بلا رأس لا يكون فكذلك

من لم يكن له طبع في الخطابة لا يكون خطيبا وان كان من اهل الفصاحة
واللسن وكذلك من لم يكن له طبع في الشعر لا يكون شاعرا وان كان
ذابلاغة وبيان . وهذا مما الامرية فيه وقد صرح به الجاحظ في البيان
والتيين حيث قال قال مسامة بن عبد الملك انصيب يا ابالحجباء أما تحسن
المهجاء قال أما ترانى احسن مكان عافاك الله لا عافاك الله . ولأمو الكميت
ابن زيد على الاطالة فقال انا على القصار اقدر وقيل للعجاج مالك لا تحسن
المهجاء قال هل في الارض صانع الا وهو على الافساد اقدر . قال وهذه
الحجج التي ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج انما ذكروها على وجه
الاحتجاج اهم وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة اذ قد
يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ويكون له
طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة ويكون له طبيعة في الحدا
او في التعبير او في القراءة بالالخان وليس له طبيعة في الغناء وان كانت هذه
الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحن ويكون له طبيعة في الناي وليس له
طبيعة في السرناى ويكون له طبيعة في قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة
في القصبتين المضمومتين ويكون له طبع في صناعة اللحن ولا يكون له
طبع في غيرها ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والاسجاع
ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا اه . فقد
تين لك ان من لم يكن له طبع في الخطابة تعذر عليه ان يكون خطيبا
ولذلك جعله ابن جرير رأس الخطابة . ثم تأتى بعده الدربة وهي المراتة
والممارسة مع شئ من الجراءة ورباطة الجاش فان من كان ذا طبع في الخطابة
وجب عليه للتبريز فيها ان يكون ذا دربة بها بتمرنه عليها وممارسته اياها
وتعويد نفسه الوقوف في مواقفها حتى يحصل له بذلك من جرأة الجنان
في مرض البيان ما يكون به خطيبا مصقعا . وقد جعل ابن جرير الدربة
عمود الخطابة وفي ذلك اشارة الى ان الذي لم يكن في الخطابة ذا دربة كان

طبعه في الخطابة غير مجد نفعا لانه يكون كمن له بيت وليس له عمود
يقوم عليه ذلك البيت وقد قال الشاعر

والبيت لا يبنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس او ناد

ثم تأتي بعد الدربة رواية الكلام والمقصود برواية الكلام هو ان
يكون الخطيب ذا علم باخبار الناس وانسابهم ونواديرهم واحوالهم وصراتهم
وبكل ما يحتاج اليه الخطيب في موقف الخطابة . وحلاصة القول ان يكون
الخطيب غزير المادة فانه اذا لم تكن للخطيب مادة يستمد منها في الخطابة
تعذر عليه ان يقف موقف الخطيب وان كان في الخطابة ذا طبع ودربة .
وقد جعل ابن جرير رواية الكلام جناح الخطابة يشير بذلك الى ان
من لم يكن ذا رواية للكلام كان كطائر مقصوص الجناحين لا يستطيع
النهوض ولا الطيران .

فهذه الامور الثلاثة اعنى الطبع والدربة ورواية الكلام مما لا بد منه
للخطيب ولا تقوم الخطابة الا بها . واما الثلاثة الاخرى وهى الاعراب
وتخير اللفظ والاشارة فهى امور كالية لاضرورية اذا اعراب في الخطبة
حلية وزينة فاذا وقع اللحن فيها سقطت تلك الحلية . وذهبت تلك الزينة
كان تخير اللفظ حسن لها فاذا جاء الخطيب في خطبته بالفاظ مبتذلة مردولة
ذهب الحسن من خطبته ولم تكن لكلامه طلاوة غير ان مصيبة الخطيب
الراذل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن لان اللاحن معتفر وان كان معيبا
وقد وقع لكثير من الخطباء الاولين كما سنذكره في محله ولكن الخطيب
اذا رذل الفاظه وجاء بها غير متخيرة ولا منتقاة لم تبطه الاسماع مقادتها
ولم يكن لكلامه وقع كبير في النفوس فيقوته الغرض من الخطابة وليس
كذلك اللاحن . واما الاشارة فسنتكلم عليها فيما يأتى ان شاء الله تعالى .
اما آداب الخطابة فاعلم ان من آداب الخطيب في الخطابة ان يلخص المعانى

كما ذكر ذلك الجاحظ عن ابن جرير ايضا فان تلخيصها رفق بالسامعين وان يترك الغريب من الالفاظ فان الاستعانة بالغريب عجز وان لا يتشادق فان التشادق من غير اهل البادية بغض والتشادق هو تكلف الفصاحة بان يتكلم كالاشدق وليس هو بانساق وكذلك التعمير وهو ان يخرج كلامه من اقصى الفم اى من الحلق وكذلك التعقيب وهو تقصير الكلام واخراجه من اول الفم من غير توفية الحروف حقها من مخارجها فان ذلك كله مذموم ومقوت . وقد قال الشاعر في رجل يعقر قوله :

يققر القول لكذا تحسبه من الرجال الفصحاء المعربة
وهو اذا حقته من كربة من نخلة نابتة في خربة

ومن آداب الخطيب ان لا ينظر في عيون الناس فان ذلك عى وان لا يمس لحيته فان مس اللحية هالك وان لا يخرج مماسى عليه اول الكلام فان خروجه من ذلك اسهاب . ومن آداب الخطابة ان لا يستعين الخطيب في خطبته بالحشو من الكلام وتفسير ذلك ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان قال حدثني صديق لى قال قلت للعتابي ما البلاغة قال كل من افهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فاذا اردت اللسان الذى يروق الالسنه وبفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعداء والحبسة فما الاستعانة قال اما تراء اذا نحدث قال عند مقاطع كلامه يا هذا ويا هيه واسمع منى واستمع الى وافهم عنى اولست تفهم اولست تعقل فهذا كله وما شبهه عى وفساد اه . فهذا وما اشبهه معدود من الحشوا الذى لا طائل تحته فينبى للخطيب ان يجتنبه . واما الاعداء التى ذكرها فهى ان يعيد الكلمة او الجملة مرتين لكى يتأتى له ما بعدها وذلك ايضا من دلائل الحى واما الحبسة فهى ان يتعذر عليه الكلام عند ارادته فيتوقف فى اثناء خطبته عن الكلام

هنية فيجري كلامه متقطعا غير منسجم ولا متسلسل وسنذكر الحجة عند الكلام على معايب الخطيب فيما يأتي .

المبحث الثالث

ف

محاسن الخطباء ومعاييرهم

قلنا فيما سبق ان انواع الدلالات في البيان خمسة او اهلها اللفظ وانذكر هنا ما يتعلق باللفظ من محاسن الخطيب ومعايبه فنقول كل ما كان في الخطيب معينا على الافصاح في اللفظ فهو من محاسنه وكذلك كل ما كان مخلا بالافصاح في لفظه فهو من معايبه . فن محاسنه جهازة الصوت فان الخطيب اذا كان جهير الصوت كان لفظه افسح وتأبيره في هوس السامعين اند فان الصوت الضئيل لا يؤثر تأثير الجهير وهذا هو السبب الذي حمل المتشادقين على التشادق والتعير لان العرب كانوا مدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت ولذلك مدحوا سعة القم وذموا صغره قال محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابي ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت . وبذلك على تفضيلهم سعة الاستدق وهجأهم ضيق الافواه قول الشاعر

لحا الله افواه الدبي من قبيلة اذا ذكرت في الثابت امورها

وانما شبه افواههم بافواه الدبي لصغرافواههم وضيغها . وقد كان العباس بن عبد المطلب جهير الصوت وقد مدح بذلك وقد نفع الله المساميين بجهازة صوته يوم حين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قادي العباس يا صحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فراجع القوم وانزل الله

عن وجل النصره واتى بالفتح . وقال المعجيز السلولى فى سنده الصوت

لو ان الصخور الصم يسمعن صلفنا لرحن وفى اعراضهن فطور
الصلق سنده الصوت وفطور نقوق وقال بشار بن برد يهجو بعض الخطباء
ومن عجب الايام ان فت ناطقاً وانت ضئيل الصوت منتفخ السحر

فغابه بضؤولة الصوت وبالسعال اثناء الخطبة لانتفاخ سحره والسحر
الرثة وفى تفضيل الجهاره فى الخطب نقول سبه بن عقال يعقب خطبه عند
سلمان بن على بن عبدالله بن عباس :

الايت ام الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامى
عشه بذالناس جهرى ومنطقى و بد كلام انساطقين كلامى

وقال طحلاء يدح م.اوية باخهاره وبجودة الخطبة :

ركوب المناير وثابها معن بخطبه مجهر
تريع اليه هوادى الكلام اذاضل خطبه المهذر

معن تعن اى تعرض له الخطبة فيخطبها مفضبا اها وتريع اليه ترجع اليه
وهوادى الكلام او اناها قاراد ان م.اوية بخطب فى الوقت الذى يذهب فيه
كلام المهذر وانتهذر انكسار . وكان ابو عمرو الذى يقال له ابو عمرو
السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخلبها ويذهب هارباً على وجهه
فضرب الشاعر به المل وهو النابغة الجعدى فقال

وازجر الكاشح العدو اذا اغتا بك عندى زجراً على أضم
زجر ابى عمرو السباع اذا اتفق ان يلتسن بالغم

وكان شيب بن زيد بن نعيم يصيح في حنبات الجيش اذا اناه فلا يلوى احد
على احد وقال الشاعر فيه

ان صاح يوما حنبت الصخر منحدرأ والريح عاصفة والموج يلتطم

ومن محاسن الخطيب ان يكون شديد المعارضة والعارضة هي البيان واللس
والجلد والقدرة الفأقة على الكلام . ومن محاسنه ان يكون ثابت الجنان
رابط الجاش وبعبارة اوضح ان يكون ذا جرأة في القول لا يتهيب خصام
المخاصمين وان كثروا ولا كثرة المجادلين وان عظموا وعليه نجمعوا .
ومن محاسن الخطيب ان يكون كثير الريق بحيث لا يحف فيه اذا اطال
الخطبة لان الريق اذا جف في الفم صعب عليه الكلام وتلجج فيه ولذلك
نرى الخطباء اليوم اذا اراد احدهم ان يخطب في ارض الجامع والمحافل
وضمواله في جانبه شربة ماء ليسرب منها في أثناء الخطابة جرعا يستعين بها
على الكلام .

وقد جعل بعضهم من محاسن الخطب ان يكون ذاهبه حسن الترة
حسن السميت جميل الصورة جميل المنظر . وقد خالف هذا القول سهل
ابن هارون واحتج في ذلك فائلا وان رجلين خطبا او محدنا وكان احدهما
جيلا جيلا بهيا نبلا و ذاحب سريفا وكان الآخر قايلا قينا
وباذ الهيئة رث الثياب حامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد
من البلاغة ووزن واحد من الصواب تتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى
للقايل الذمم على النيل الجسم وللباد الهيئة على ذي الهيئة واشغلهم التعجب
منه عن مساواة صاحبه له واصار التعجب منه سببا للتعجب به ولكن
الاكثر في شأنه علة الاكثر في مدحه لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه
أيس ومن حسده ابعده فاذا هجموا منه على ما لم يحتسبوه وظهر منه
خلاف ما قدرود تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم

لان الشيء من غير معدنه اعرب وكلما كان اعرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اعرب وكلما كان اعجب كان ابداع وانما ذلك كنوادير كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك اسد وتعجبهم به اكثر

وانت تعلم ان القول الاول هو الصواب اذ لانك ان جمال الصورة وبهاء المنظر وحسن الهيئة والسمت امور ممدودة من تمامات الكمال وفي كلام سهل بن هارون شيء من المغالطة اذ لو سلمنا ان الناس يقضون لذلك الرجل الديم الرث الهيئة مع مساواة صاحبه له في البلاغة لانسلم انهم قضوا له بسبب دمامة منظره ورثانة هيئته بل هم انما قضوا له بسبب تعجبهم منه من حيث انهم كانوا لا ينتظرون منه تلك البلاغة ولا يتوقعون منه تلك البراعة كما قد اعترف به سهل بن هارون نفسه وعدم انتظارهم منه ذلك دليل على ان دمامة المنظر ورثانة الهيئة نقص عندهم . هذا ما ذكرناه من محاسن الخطيب وسنأتي على ذكر ما به في الدرس الآتي .

المبحث الرابع

في

معايب الخطيب

كل ما كان في الخطيب مخلا بافصاحه في اللفظ عد من معايبه فمن معايبه ان يكون لجلاجا اي مترددا في كلامه واللجاجة هي التردد في الكلام كأن يكرر الكلمة حتى يتأني له النطق بما بعدها ويقابلها الذلاقة والطلاقة يقال لسان ذليق وخطيب ذليق ولسان ذليق طليق كل ذلك اذا كان ذاحدة وبلاغة وفصاحة وقال اللهي في اللجلاج

ليس خطيب القوم باللجلج
ورب بيدا وليل داج
ولا الذي يزحل كاهلباج
هتكته بالصر والادلج

ويدخل في باب اللجلج الخطيب الذي تعرض له التخنجة والسعة
وذلك اذا انتفخ سحره اى رثته فان ذلك ايضا نوع من اللجلجة
والتردد في الكلام وفي قال سحيم بن حنص :

نعوذ بالله من الالهال ومن كلال الغرب في المفال
ومن خطيب دائم السعال

وقال بشر بن معمر في مثل ذلك ايضا :

ومن الكبار مقول متعجم
جم التخنج متعب مجهود

وقال الاثل البكري في زيد بن جندب الايادي خطيب الازارقة
وكانا قد اجتمعا في بعض المحافل :

نخج زيد وسعل
ويل امه اذا ارتجل
لما رأى وقع الاسل
ثم اطال واحتفل

ومن معاييب الخطيب ان يكون تماماً والتمتة هي رد الكلام الى التاء
والميم وقيل التمام هو الذي تسبق كلمته الى حنكه الاعلى وعن ابي زيدان
التمتاء هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك والصحيح ما قاله الاصمعي
حيث قال اذا تتعج اللسان في التاء فهو تتمام واذا نتعج في الفاء فهو
فأفاء وفي ذلك يقول ابو الزحف

لست بفأفاء ولا انتمام
ولا كثير الهجر في المنام

وانشد ايضا للخولاني

ان السياط تركن لاستك منطقاً كمقالة التمام ليس بمعرب

فقد جعل الحولاني التمام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته
ومن معاييه ايضا ان يكون فأفاءً وفأفاءً هو الذي يكثر الفاء ويتردد
فيها في كلامه وقد تقدم في ذلك قول الاصمعي وقيل الفأفأة حبة
في اللسان وقال المطرزي الفأفاء هو الذي لا يقدر على اخراج الكلمة
من اسانه الا بجهد يتبدى في اول اخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد الجهد
حروف الكلمة على الصحة . والصحيح هو القول الاول .

ومن معاييه ان يكون النع وهو الذي يحول لسانه من حرف الى
حرف آخر كأن تحول لسانه من السين الى التاء او من الراء الى الغين
او غير ذلك . و ذكر الجاحظ في كتاب البيان ان الحروف التي تدخلها
الثغرة اربعة القاف والسين واللام والراء قال والثغرة التي تعرض للسين
تكون ناء كقوله لاني يكسوم ابي يكشوم وكما يقولون بثرة اذا ارادوا
بسرته وبثم الله اذا ارادوا بسم الله واما اللثغة التي تعرض للقاف فان
صاحبها يجعل القاف طاء فاذا اراد ان يقول قلت له فانه طلت له واذا
اراد ان يقول قال لي قال طال لي واما اللثغة التي تعرض للام فان من
اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتلتت اعتيتت وبدل جعل
جبي ومنهم من يجعل اللام كافاً كالذي عرض لعمر اخي هلال فانه كان
اذا اراد ان يقول ما العلة في هذا قال ما ا كعكة في هذا واما اللثغة التي
تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذي يعرض
لها اربعة احرف فمنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمي فيجعل الراء
ياء ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمع فيجعل الراء غينا
ومنهم من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمد فيجعل الراء ذالا واذا انشد
قول الشاعر

واستبدت مرذ واحده اما العجز من لا يسند

قال :

واستبد مدة واحده اما العجز من لا يسند

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمه ويقول اذا اشد هذا البيت

واستبدت مظة واحده اما العجز من لا يسند

والذي يجعل الراء غيبا معجمه تقول اذا اشد هذا البيت « واستبدت مظة واحده » واما الالفة الحامسة التي كانت تعرض في الراء لو اصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس الى تصورهما سبيل وكذلك الالفة التي كانت تعرض في الشين لمحمد بن الحجاج فان تلك ايضا ليس لها صورة في الخط ترى بالعين واما تصورهما اللسان وتؤدي الى السمع .

وربما اجتمعت في الواحد اللذان في حرفين كجحو لعة - سوسى صاحب عبدالله بن خالد الاموى فاما كان يحول اللام يا . والراء ياء قال مرة « مويى ونى انى » يريد مولاى ولى الرى . والالفة في الراء اذا كانت بالياء فهي أحقرهن ثم اتى على الظاء ثم اتى على الذال فاما التي على العين فهي ايسرهن ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده واحذ اسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يكن بعدا . من ان نجية الطبيعة

واعلم ان الالفة اما ان تكون حائفة فطرية واما ان تكون ناسئة عن عجمة اللسان واكتته كما سمعته في كلام الاعاجم او في كلام العرب الذين هم يرتضخون اللكنة بسبب محالطتهم المعجم ردحا من الدهر فانا نسمع الترك والفرس عند نطقهم ببعض الكلمات العربية يجعلون الذال زايأ فيقولون في ذلك ذلك وفي الذى الذى ويقولون في ذليل ذليل وكذلك هم في الظاء فيقولون في ظالم زالم وفي مظلوم مزلوم وفي نظر نزر ويجعلون اللثاء

سينا فيقولون في بلانة سلاسة وفي انين اسنين وفي اثم اسم وقد سمعت مرة
احدهم يقرأ قوله تعالى ان بعض الظن اثم فقال (ان بعز الزن اسم)
فقلت له وان بعضه فعل ففطن لما اردت واخذ بالضحك وكذلك الضاد
فانهم يجعلونها زايا ايضا كما رأيت في المثال المتقدم الا انهم ينطقون بالزاء
في ذلك كله مصخمة وكذلك ترى اليوم بعض العرب الذين طرأت الالكنة
على لسانهم بطول اختلاطهم مع العجم فان اهل سورية يجعلون الذال
والطاء زايا كما يجعلون الضاد دالا مصخمة فيقولون في الضرب الدرب وربما
جعلوها زايا ايضا فيقولون في ضابط زابط ويجعلون القاف همزة فيقولون
آل بدل قال وأت بدل قلت وألم بدل قلم وكذلك اهل مصر يجعلون التاء
تاء فيقولون في كثير كثير وربما جعلوها سينا ايضا ويجعلون الجيم كافا
فارسية فيقولون في جل كمل واهل العراق يجعلون القاف كافا فارسية
فيقولون في قائم كأم وفي قاعد كاعد كما يجعلون الكاف جيم فارسية
فيقولون كذب جذب وتقولون بدل كان جان . غير ان هؤلاء الدرب
فادرون على ترك هذه اللثة فان السورى فادر على النطق بالذال مثلا من
مخرجها وكذلك الراق فادر على النطق بالقاف والكاف من مخرجهما
والمصرى فادر على النطق بالجيم من مخرجها بخلاف غيرهم من العجم فان التركي
مثلا غير فادر على ترك لغته الا بالتدرب والممارسة الطويلة وربما استعصى
عليه تركها بالمرّة . واقد كان في قديم الزمان اناس من العجم قد خالطوا
العرب وعاشوا بينهم وتكلموا بلسانهم وفهم الشاعر والطبيب ولكنهم
مع ذلك لم تفارقهم الالكنة الاعجمية بل كانوا اذا تكلموا لغوا في كلامهم
بتغيير بعض الحروف فمن هؤلاء زياد بن ساسى ابو امامة وهو زياد
الاعجم قال ابو عبيدة كان ينشد قوله .

فتى زاده السلطان فى الود رفعة اذا غير السلطان كل خليل

قال كان يجعل السين سينا والطاء تاء فيقول « فتى زاده السلطان

في الود رفعة» ومنهم سعيد بن الحسين قال له عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقد انشده قصيدته التي اولها

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والسلام للمرء ناهيا

لوقدمت الاسلام على الشيب لاجزئك فقال ماسعرت بريد ماسعرت
فجعل الشين سينا . ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق قال لهاني بن
قيصة أهروزي سأثراليوم يزيد أحروري . ومنهم صهيب بن سنان
النمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انك لهان بريد
انك لحائن و صهيب بن سنان هذا كان يرتضخ لكنة رومية وعبيد الله
ابن زياد كان يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء واما
ازدايقاذاز فانه كان يرتضخ لكنة نبطية وكان مثلهما في جعل الحاء هاء
وروي بعضهم انه املى على كاتب له فقال اكتب الهاصل الف كرك فكتها
الكاتب بالماء كما افظ بها فاعاد عليه الكلام فاعاد عليه الكاتب فلما فطر
لاجتماعهما على الجهل قال انت لاتهسن ان تكتب وانا لا اهن ان
املى فاكتب الجاصل الف كرك فكتها بالجيم . ومنهم ابو مسلم صاحب
الدعوة كان جيد الالفاظ جيد المعاني وكان اذا اراد ان يقول قات له
قال كلت له فشارك في تحويل الفاف كافا عبدالله بن زياد . وكان لزياد
عبد اسمه قيل قال مرة لزياد اهدوا الينا همار وهش بريد حمار وحشر
فقال له زياد وأي شيء تقول ويلك قال اهدوا الينا أبر بريد عيرا فقال
زياد الاول اهون . وفات ام ولد لجرير بن الخطمي لبعض ولدها وقع
الجردان في عجان امكم ابدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم
وجعلت المعين عجانا ، وقال ابن عباد ركبت عجوز سنديية جلا فلم
مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت هذا الذمل يذكر
بالسر فجعلت الشين سينا والجيم ذالا .

ومن معاييب الخطيب ان يكون ذاحبسة والحبسة هي تعذر الكلام عنه

ارادنا ونقال في اسانه حبسة اذا كان الكلام بثقل عليه ولم يبلغ حدا المأفء
والتمتام كما يقال في اسانه الكنة اذا دخل بعض حروف المعجم في حروف
العرب وجذبت اسانه العادة الاولى الى ما يخرج الاول . ومن قال ان
الحبسة هي تعذر الكلام عند ارادته فقد جعلها من قبيل الحصر والهي
في المنطق والصحيح انها تعسر الكلام لانذاره ومعنى ذلك ان صاحب
الحبسة هو من اذا اراد ان يتكلم ثقل عليه الكلام باقل مما يثقل على
المأفء والتمتام .

ومن معاييب الخطيب ان يكون ذاحكته وهو الذي لا يسمع صوته اذا
تكلم وهذه تقابل جهارة الصوت التي هي من محاسن الخطيب كما مر .
والحكلي ما لا يسمع له صوت كالذر ويقال تكلم كلام الحكلي اي كلاما
لا يفهم قال رؤبة بن العجاج .

لو اى اوبيت علم الحكلي علم ساجان كلام التمل

وقال محمد بن دؤيب في مدح عدنانك بن صالح

وبهم قول الحكلي لو ان درد نساود اخرى لم يفنه سواها

وقال الديلمي في هجائه ابني نغاب

ولكن حكلا لا بين ودينها عبادة اعلاج عليها البرانس

قال الجاحظ « اذا قالوا في اسانه حكمة فاما يذهبون الى نقصان آلة

المعطق وعجز اداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال » ولا شك

ان الصوت معدود من آلة المنطق واداء اللفظ فاذا كان في الصوت نقص

وعجز كان غير مسموع جيدا واذا كان غير مسموع جيدا فانت السامع

بعض كلمانه واذا فانت السامع بعض كلمانه صار لا يعرف معانيه الا بالاستدلال

وخلاصة القول ان الحكلي هو ما لا يسمع له صوت فالحكمة اذا عيب خاص

الصوت ولكنهم ربما توسعوا في ذلك فاطلقوا الحكلي على كل من لا يحسن

البيان سواء كان دلت لعجز في صوته او تغير ذلك كما رأيت في بيت
الهميمى الذى تقدم حيث قال

واكن حكلا لاسين ودينها عذبة اعلاج علمها البراس

فقد جعل بنى تغلب حكلا وفسره بقوله لاسين ولم يفصد ان ي
تغلب كانوا اصواتهم غير مسموعة

ومن معاييب الخطب ان يكون ألف اى باسمه لمب وهو الذى اياكم
ملا اساناه فيه وكان بطي الكلام قال ابوعبد الله اذا حل الرجل بعض
كلامه في بعض وهو الم وقيل باسمه لمب واشد لاني ارحف الراجز

كأن فيه لفظا اذا نطق من طول بحس وهم وارق

يقول كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من كلمه وطال عامه ذلك
اصابا لقف في اسانه وكان يزيد بن حار فامسى الارزوفة بعد انفصال
يقال له الصموت لانه لما طال صمته نقل عامه الكلام فكان اسانه يابوى
والابكاد سين . وفهم من هذا ان اللفظ اما ان يكون عارضا من طول
الصمت وترك ممارسة الكلام واما ان يكون حائضا بمعنى ان صاحبه كذا
خاق .

ومن معاييب الخطب ان يكون هذرا وانهدرته هي المجلة والاسراع
في الكلام وانشد الاصمعي .

حديث بنى زط اذا ما انبهم كيزوالدى في العرفج اشعار

قال ذلك حين كان في كلامهم عجة فشبه كلامهم بتتابع الاصوات
الحاصلة من تواب اللبى بين سجر العرفج واللبى اصغرا جراد وقيل
الجراد قيل نبات اجنحته الواحدة دابة . وقال سلمة بن عباس

كأن بنى رالان اذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهم سويق

قال ذلك لركة اصواتهم وعجة كلامهم لان الفراريج اذا ألقى لها

الحب صرن يتقدنه بتناقيرهن ويصوتن عند نقده اصواتا متقطعة متتابعة
فهذومة بنى رالان في كلامهم كاصوات هذه الفراريج من حيث انها غير
مفهومة اذلا تسك ان العجاة في الكلام لم تكن امرا معيا الالكونها
مخلة بفهم المعنى عند السامع .

وقدتين لك من هذه المعاييب التي ذكرناها ان كل ما اخل بالافصاح
وادى الى اختلال الصوت الذي منه نتكون الحروف كان معيبا في الخطيب
واذا كان الامر كذلك فسقوط بعض الاسنان والاسيا النايا من فم الخطيب
معيب لان ذلك مؤد الى اختلال الصوت وقلة الافصاح في اللنظ . وكان
سهيل بن عمرو الخطيب بخطاب في العرب ضد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك قبل اسلامه فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله
انزع نيينه السفليين حتى يدلع اسنانه فلا يقوم عليك خطيبا ابدا . وانما
قال ذلك لان سهيلا كان اعلم فاذا نزع نتيه السفليان محجز عن النطق
باكثر الحروف ولم يصاح حينئذ ان يكون خطيبا . ومما يدل على ان سقوط
بعض الاسنان معدود من معاييب الخطيب عندهم ما حكاه خلاد بن يزيد
الارقط قال خطب الجمحي خطبة نكاح اصاب فيها معاني الكلام وكان
في كلامه صغير يخرج من موضع ثنياه المنزوعة فاجابه زيد بن علي بن
الحسين بكلام في جودة كلامه الا انه فضله بحسن المخرج والسلامة من
الصغير فذكر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر سلامة لفظ زيد
بسلامة اسنانه فقال في كلمة له

قات قوادحها وتم عديدها فله بذاك مزية لانكر

ويروى بدل الشطر الاول « صحت مخارجها ونم حروفها » فعلى
الرواية الاولى الضمير في قوادحها وعديدها راجع الى الاسنان والقوادح
جمع فادحة وهي الدودة التي تنخر الاسنان يقال اسرعت في اسنانه القوادح
اذا اصابها ذلك فتساقطت فكأنه قال ان اسنانه قد سلمت من القوادح

فتم عديدها ولم يسقط منها شيء فكانت له بسببها مزية في خطبه لا تنكر.
وعلى الرواية الثانية الضمير في مخارجها وحروفها راجع الى الخطبة والمعنى
ظاهر. وانت ترى ان الجمحى وزيدا كانا متساويين في البلاغة وجودة
الكلام وانما فضله زيد بتمام اسنانه وسلامة خطبه من الصفير فكان
سقوط اسنان الجمحى معيا فيه. وقال الاحنف بن قيس نفتخر بتمام
اسنانه وهو ايبن العرب والعجم.

انا ابن الزافرية ارضعتني بسدى لا اجد ولا وخيم
امتنى فلم تنقص عظامى ولا سوني اذا اصطك الخصوم

قال يونس بن حبيب انما عني بقوله عظامى اسنانه التي في قهوهي
التي اذا تمت تمت الحروف قال ولا يجوز ان يكون عني بقوله عظامى
عظام اليدين والرجلين اذ كيف يعنى ذلك وهو احنف من رجليه جميعا.
وقد ذكروا ان معاوية لم يتكلم على منبر جماعة مذستعت نناياه
في الطست قال ابو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مفادم فنه قال
له يزيد بن معن السامى والله ما بلغ احد سنك الا ابغض بعضه بعضا ففوك
اهون علينا من سمعت وبصرك قطابت نفسه. قال ابو الحسن المدائنى لما
سد عبد الملك اسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت.
هذا اذا سقط بعض الاسنان دون بعض. اما اذا كان الحطيب ادرد
اى ساقط الاسان كلها فلاضير عليه من سقوطها اذ لا يكون سقوطها
حيثذ مخلا بالافصاح ولا مؤديا الى اختلال الصوت واخراج الحروف من
مخارجها. قال محمد بن عمرو الرومى قد صححت التجربة وقامت العبرة
على ان سقوط جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط
اكثرها وخالف احد شطربها الشطر الآخر وقد رأينا تصديق ذلك
في افواه قوم شاهدتم الناس بعد ان سقط جميع اسنانهم وبعد ان بقى
منها الثلث والرابع فمن سقط جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد

ابن هشام القحذمي صاحب الاخبار ومنهم ابوسفیان والعلاء بن لبيد التغابي وكان ذابيان ولسن . وكان سفیان بن الابرود الكلبي كثيرا ما يجمع بين القار والحار فتساقطت اسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بيتنا . وقال اهل التجربة اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ولم يبر في هواء واسع المجال وكان لسانه يملا جوبة فله لم يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المعتفر . وقد ضرب الذين يقولون ان ذهاب جميع الاسنان اصاح في الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر او الثلثين في ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا اجدر ان يطير من الذي يكون احدهما وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء واذا لم يكن كذلك ارفع احد سقيه وانخفض الآخر فلم يجدف ولم يطر .

ومما يلحق بمعايب الخطيب الشنا وهو اختلاف نبتة الاسنان في الطول والقصر والدخول والخروج . والسن الشاغبة هي الزائدة على الاسنان ويقال لمن فيه ذلك اتى وما سميت العقاب بالشفواء الا لزيادة منقارها الاعلى على الاسفل قال الجاحظ كان زبد بن جندب الايادي الخطيب الازرقى اسنى اقاجح ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة وقال عبيدة بن هلال اليشكري في هجائه

اسى عقبة وناب ذوعصل وقاج باد وسن قدانصل

والعقبة من صفات العقاب يقال عقاب عقبة اي ذات مخالب حداد والعصل الاعوجاج والقلح اصفرار في الاسنان وقال عبيدة ايضا فيه
ولفوك اشنع حين تنطق فاغراً من في قريح قد اصاب بريرا
والبرير ثمر الاراك .

وآخر ما ذكره من معايب الخطيب هنا هو ان يعتريه في اثناء الخطابة

البهر والارتعاش والعرق قال الجاحظ وابعب عندهم اى العرب من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته ان يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق قال العماني في وصف خطيب

لاذفرهش ولا بكاب ولا باحلاج ولا هباب

والهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابي الذى لا يكاد يعرق كالبزبد الكابي الذى لا يكاد يورى شعله العماني حالا بين حالين اذا خطب .

المبحث الخامس

ف

حاجة الخطيب الى الاشارة

جرت العادة عند جميع الامم على اختلاف اساتها ان الانسان اذا تكلم احتاج فى اثناء كلامه الى الاشارة باليد والغمز بالعين والجنن والحاجب والى انقباض الرأس ونحريك المنكبين والى احداث اوضاع فى بدنه تناسب معنى كلامه وهذا مشاهد من كل من تكلم من الناس ولا بد منه للمتكلم ولولاه لضاعث اكثر دقائق الكلام من معانيه المقصودة ولكان الكلام المسموع من فم المتكلم كالكلام المضروب فى كتاب ولما بقى فرق بين من قام خطيا وبين من اخذ بيده صحيفة وصار يقرأ ما فيها على السامعين مع ان الفرق بينهما ظاهر لا ينكر .

ولاشك ان غرض المتكلم انما هو افهام المعنى والاشارة تشارك اللفظ فى الافهام بل قد تكون مستقلة فى التفهيم كما نشاهد ذلك فى كلام الحرس فانهم انما يتكلمون بالاشارة فقط وبها يتم التفاهم بينهم وبين من اراد الكلام معهم فالاشارة تنوب عن اللفظ فى كلام الحرس وتكون عوناً له فى كلام غير الحرس .

وقد تكلم الجاحظ عن الاتسارة فقال فاما الاشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والتمكب وبالثوب وبالسيف اذا تباعد الشخصان وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا قال والاسارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما اكثر ما تنوب عن اللفظ وتغني عن الخط . وفي الاتسارة بالعرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعوثة حاضرة في امور يسترها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الاشارة لمبتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة وقد قال الشاعر في دلالة الاشارة :

اسارت بطرف العين خيفة اهلها اشارة مذعور ولم نتكلم
فانقنت ان الطرف قد فال مرحبا واهلا وسهلا بالحبيب الهم
وقال الآخر

وللقاب على القاب دليل حين يلقاه
وفي الناس من اتنا س مقابيس واشباه
وفي العين غنى للمرء ان تنطق افواه
وقال الآخر

تري عينها عيني فتعرف وحيها وتعرف عيني ما به الوحي يرجع
وقال الآخر

العين تبدى الذي في نفس صاحبها من المحبة او بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامته حتى ترى من ضمير القب تيانا

هذا ومبلغ الاتسارة ابعد من مبلغ الصوت فهذا ايضا يابر تتقدم فيه الاتسارة على الصوت . والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما

موزوناً ولا متشوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلما إلا بالتقطيع والتأليف . وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتنقل والتثني وغير ذلك من الأمور .

وقد انفق لبعض خطباء العرب أنهم خطبوا وكانت عماد خطبهم الإشارة لاغير . فمن ذلك ان مصعب بن الزبير لما قدم العراق صعد المنبر فقال بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها تبعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين (و اشار بيده نحو الشام) وريد ان ممن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارين (و اشار بيده نحو الحجاز) ويمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهم لهم ما كانوا يحدرون (و اشار بيده نحو العراق) فكان خطبته هذه وقع عظيم في النفوس مع انه لم يأت فيها بنى من النمط سوى انه قرأ القرآن و اشار بيده أثناء قراءته .

ومن هذا النيل ما ذكره من خطبة يزيد بن المظن وذلك ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فلما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد واظهر قوم الكراهة فام رجل فقال له يزيد بن المظن فاخترت من سيفه تبراً ثم قال هذا امير المؤمنين (و اشار بيده الى معاوية) فان مات فهذا (و اشار بيده الى يزيد) فمن أبى فهذا (و اشار بيده الى سيفه) فقال له معاوية انت سيد الخطباء .

واعلم انه ليس للاتسار من ضابط يضبط انواعها تجام المعاني فلا يمكن تخصيص نوع من الاتسار بمعنى من المعاني كأن يقال ان نوع كذا من الاشارة باليد او بالانكسب او بالحاجب يدل على معنى كذا من الكلام دون غيره او يقال ان الاشارة على الوجه الفلاني يجب ان تكون عند

قصدا للمعنى الفلانى دون غيره . بل الاشارة على اختلاف انواعها وتعدد صورها مشاعه بين انواع المعانى اى مغفلة عن الوضع تجاه المعانى وانما الامر فى استعمالها راجع الى ذوق الخطيب وعادته وحذقه ولباقته فكل خطيب عادة فى الاشارة يمتاز عادة غيره ومن هنا يقع التفاضل بين الخطباء فى كيفية استعمال الاشارة فكلما اوقع الخطيب هذه الاشارات فى مواقعها الملائمة لها من الكلام وبرزها بصورة تناسب صور المعانى بحيث تكون متممة للمعنى وكاتفة له كان ذلك الخطيب احق بان يحرز قصب السبق فى ميدانها واجدر بان يعد المجلى فى منهارها .

هذا هو الحكم العام الذى نبنى ان نحكم به عند تفصيل انواع الاشارة وتبين صورها - اضافة وايكن يتكّن مع ذلك ان تذكر لبعض الاشارات مواقع خاصة من الكلام قد اصطحج جمهور الناس عليها فى مواضع خاصة حتى صار استعمالها ملما فى مثل تلك المواضع متعارفا بينهم ومألوفا لهم ولذا كررت امثلة من ذلك قفول قد جرت العادة ان المتكلم اذا ذكر الزمان الماضى اشار بيده الى خاف بان يرفع احدى يديه نحو كتفه مبسوطه او مقبوضة دون الاهتمام وادا ذكر المستقبل اشار بها الى الامام بان يمدّها الى الامام مبسوطه او مقبوضة دون السبابة واذا ذكر الزمان الحاضر اشار بها الى تحت نحو قدميه واذا استفهم عن الزمان او المكان كأن يقول مثلا (متى جاؤا واين ذهبوا) متدبده مفتوحة الكف وحركتها بحركة خفيفة افقة واذا تعجب من شئ قاب كفه او كفيه مفتوحة نحو السماء وقد ذكر الشيخ الاكبر فى كتابه تناضرة الابرار انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تعجب قاب لده كلها . ومما جرت به العادة ان المتكلم اذا ذكر الضرب بالسيف عمل بيده حركة كحركة يد المضارب بالسيف واذا ذكر الطعن بالرمح حركتها كحركة يد الطاعن بالرمح واذا ذكر الكتابة بالفلم قبض انامله كما يقبض الكاتب بانامله على الفلم وحرك يده كحركة يد الكاتب واذا ذكر شياً من لبس الثياب عمل

بيديه كأنه يلبس ثوبا وإذا سور كلامه باداة سور كأن يقول متلا الناس كلهم اوجيما اوقاطبة مديده وداربها من جهة اليمين الى جهة الشمال كأنه يصور بذلك الاحاطة والشمول . واما الرأس فقد جرت العادة برفعه قليلا عند التثني كقول لا وبخفضه قليلا عند الجواب كقول نعم . واما انفاض الرأس اى تحريكه فهو اشارة الى التعجب والاستهزاء وقد ذكر الله تعالى ذلك عن كنفار العرب حيث قال « فيسندفنون اليك رؤسهم » اى فيسحر كونها نحوك . تعجبا واستهزاء وقد جرت العادة ايضا بان يعبس المتكلم ويقطب بين عييه اذا اخذ باللوم والزجر والنقريع وكذلك اذا اخذ بالتهديد والترهيب وان يجعل وجهه ظلما شوسا اذا اخذ بالتأهيل والترحيب كما جرت العادة برفع المنكبين وخفضهما عند عدم الاكتراث والمبالاة . هذا وانما اوردنا هذه الجملة من صور الاشارة على طريق المثال والافصور الاشارة كثيرة لا تحصى والامر فيها كما قلنا انما راجع الى ذوق المتكلم وعادته ومهارته كما لا يخفى

وقد خالف بعضهم فى لزوم الاشارة والحركة عند الخطبة كما روى ذلك ابو شمر عن معمر بن ابي الاسود قال اجاحط وكان ابو شمر هذا اذا خطب لم يحرك بده ولا منكبيه ولم يقاب عييه ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه كأنما يخرج من صدع صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالمجز عن بلوغ ارادته وكان يقول ليس من المنطق ان تستعين عليه بنيره حتى كلف ابراهيم بن سيار النظام عند ايوب ابن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسئلة حتى حرك يديه وحل حوته وحب اليه حتى اخذ بيديه ففى ذلك اليوم انتقل ابوب من قول ابى شمر الى قول ابراهيم . قال وكان الذى غر ابانمر ومومه هذا الرأى ان اصحابه كانوا يستمعون منه ويسامون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورد عليهم ويثبته عندهم فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسي حال منازعة الاكفاء ومجازبة الخصوم .

المبحث السادس

ف

المحصرة والعصا

اغلم ان الكلام على المحصرة معدود من تمة الكلام على الاشارة لان المحصرة ليست الا صلة لليد التي بها تكون الاشارة ولذا جئنا بهذا البحث بعد بحث الاشارة .

من عادة خطباء العرب اخذ المحصرة للاشارة وخذ وجه الارض بها اثناء الكلام وربما كانت عصا وربما كانت قناة وكذلك من عادتهم ايضا الاتكاء على اطراف القسي والاعتماد عليها اثناء الخطابة .
قال كثير في خذ وجه الارض بالمخاصر .

اذا قرعوا المناير ثم خدوا باطراف المخاصر كالغضاب

وقال ابو عبيدة سأل معاوية شيخا من بقايا العرب اى العرب رأيت اضخم شأنا قال حصين بن حذيفة رأيت متوكئا على قوسه يقسم في الحليفين اسد وغطفان . وقال جرير بن الحطفي في حمل القناة

من للفناة اذا ماعى فائلها واللاعنة يا عمرو بن عمار

ومن هذا القيل قول ابى المجيب الربيعي حيث يقول « لا زال تحفظ اخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك او يمدحك » ومعنى قوله حتى يأخذ القناة اى حتى يقوم خطيبا فاذا قام يخطب فقد قام المقام الذى لا بد من ان يخرج منه مذموما او محمودا . وقال ابو اليقظان كانوا يقولون اخطب بنى تميم البيث اذا اخذ الفناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض ثم رفعها . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه جاء البقيع ومعه محصرة

فجلس فكت بها الارض ثم رفع رأسه فقال ما من نفس منقوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار . وهو من حديث ابي عبدالرحمن السلمى وقوله منقوسة معناه مولودة يقال نفس فلان اى ولد فهو منقوس ويقال ورث فلان هذا قبل ان ينفس اى قبل ان يولد . وما يدلك على استحسانهم شأن المحصرة حديث عبدالله بن انيس ذى المحصرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه محصرة فقال تلقانى بها فى الجنة وهو مهاجر عقى انصارى وهو ذوا المحصرة فى الجنة . وفى الحديث ايضا ان رجلا ألح على النبي صلى الله عليه وسلم فى طاب بعض المغنم وكانت بيده محصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله اقضى فلما كشف النبي له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه والدليل على انهم كانوا يتخذون المحاصر فى مجالسهم كما يتخذون القنا والقسى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء

فى كفه خيزران رحبها عقب من كف ارووع فى عمرينه سم
ينضى حياء وينضى من مهابته فما يكلم الا حين يتسم
وقال الآخر

مجالسهم خفض الحديث وقولهم اذا ما قضاوا فى الامر وحى المحاصر
وقال الآخر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر

ومما يصح ان يكون دليلا فى هذا الباب ما حدث به بعضهم اذ قال كنا منقطعين الى رجل من كبار اهل العسكر وكان لبثنا عنده يطول فقال بعضنا ان رأيت ان نجعل لنا امارا اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال اصحاب معاوية لمعاوية مثل الذى قلنا لك فقال امارا ذلك ان اقول اذا شتمت وقيل ليزيد مثل ذلك فقال اذا قلت على بركة الله وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال اذا التقت الحيزرانة من يدى قالوا فأى شئ تجعل لنا اصلحك الله قال اذا قلت يا غلام الغداء .

قال الجاحظ وبالناس حنظلك الله اعظم الحاجة الى ان يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها قال وعند العرب العمة واخذ المحصرة من السيا وقد لا يلبس الخطيب المدحفة ولا الجبة ولا الفميص ولا الرداء والذي لا بد منه العمة والمحصرة وربما قام فيهم وعليه ازاره قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامة وفي يده محصرة وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة قال وربما كان العود. ربما كان نحو حطا وربما كان من ابنوس ومن غرائب الحشب ومن كراشم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كبريم فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت في حزائن الخلفاء والملوك. قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالقضيب وكفى بذلك دليلا على عظم غناها وشرف حالها يعنى العصا او المحصرة قال وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء وقد كان مروان بن محمد آحر خلفاء بنى امية حين احيط به بوقع البرد والقضيب الى خادم وامره ان يدفنها في بعض تلك الرمال ودفع اليه بنتاله وامره ان يضرب عنقها فلما اخذ ادم في الاسرى قال ان قتلتموه ضاع ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فامنوه على ان يسلم لهم ذلك . وفي الخبر ان ابا بكر رضى الله عنه افاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه يحرش بعيره اى يحك ظهره بالمحجن ليسرع والمحجن العصا المنعطفة الرأس . وفي الحديث المرفوع انه طاف بالبيت يستلم الاركان بمحجنه ثم يجذبه اليه يربد بذلك تحريكه . وكانت العنزة التى تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما جعلوها قبلة اشهر واذا ذكر من ان يحتاج في تثبيتها الى ذكر الاسناد والعنزة هى العصا الطويلة التى فى اسفلها زج .

قال الجاحظ ومن شأن المتكلمين ان يشيروا بايديهم واعناقهم وحواجبهم فاذا اشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بايديهم ابدياً اخر ويدل على ذلك قول الانصارى الذى يقول

وسارت لنا سياراة ذات سؤدد بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بارض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل الزول في كل خطبة انا وصلوا انانهم بالمخاصر

وايضا ان حمل المعنا والمحصرة دليل على التأهب للخطبة والنهي
للانطاب والاطالة وذلك سى خاص بنظباء العرب ومنصور غانهم ومنسوب
اليهم حتى انهم اينهبون في حوانجهم والمخاصر في ايديهم النانها وتوفعا
لبعض ما يوجب حملها والاسارة بها قال ولا يكون ذلك من عجزهم عن
الكلام واستعانهم بالمخاصر عليه كما رعمت الشعوية وانما يكون العجز
والذلة في دخول الحلال والنقص على الجوارح فاما الزيادة فيها فالصواب
فيه وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة الفلانس العظام
في حارة القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على الفلانس فان كانت الفلانس
مكشوفة زادوا في طولها وحادرة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع
الامة وكل ما زادوه في الابدان ووصلوه في الجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك
الابدان . والعصى والمخاصر مع الذى عددناه باب واحد في المعنى . قال و
المعنى قد يوقع بالقضيب على اوزان الاغانى والمتكلم قد يشير برأسه ويده
على اقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضرور بالحركات على ضرور الالفاظ
وضرور المعانى ولوقبضت يد المتكلم ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا
كلامه وقال عبدالملك بن مروان لو القيت الخيزرانة من يدي لذهب
شطر كلامي . واراد معاوية سبحان وائل على الكلام وقد كان اقتضبه
اقتضابا فلم ينطق حتى اتوه بمحصرة فرطلها بيده فلم تعجبه حتى اتوه
بمحصرته من بيته

وقد نعمت الشعوية على العرب هذه العادة اعنى اخذها المخاصر
في الخطب وعابت هذا الدين وقدت هذا الرأى اشد التفيد جريا في ذلك
على ماجبات عليه تجاه العرب من الحسد والبغضاء . والشعوية اناس من

العجم يتعصبون للعجمية ضد العربية وينقمون على العرب مفاخرهم و ينكرون مآثرهم ومآلهم من الميزة في براعة المنطق وحسن البيان وقد ذكر العلماء شبههم وردوا عليهم بالاحاجة بنا الى ذكره هنا .

المبحث السابع

ف

انواع الخطب عند العرب

لما نظرت في كتاب الجاحظ « البيان والتبيين » وطالعتة وتدبرته من اوله الى آخره تبين لي ان انواع الخطب عند العرب عشرة وهي هذه (١) خطبة الجمعة (٢) خطبة العيد (٣) خطبة الصلح (٤) خطبة الجمالة (٥) خطبة يوم الحفل (٦) خطبة المواهب (٧) خطبة بين السامطين (٨) خطبة التأين (٩) خطبة الموسم (١٠) خطبة النكاح . فاما خطبة الجمعة والعيد فهي للخلفاء والامراء ومن ينوب عنهم والغالب عليها ان تكون سياسية دينية اجتماعية وبالجملة فان خطب الجمع والاعياد عامة تتناول كل امر من امور الدين والدنيا . ولا يفهم من هذا ان خطب الخلفاء والامراء مفصولة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس الحاجة الى الخطبة في أى يوم شاؤا وأى وقت ارادوا وقد قال عبد الملك بن مروان لما قيل له عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين « وكيف لا يفجل على وانا اعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة او مرتين » يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الامور . واليك خطبة للامام على رضى الله عنه . ان سفيان بن عوف الازدى ثم الغامدى اغار على الانبار في زمن على بن ابي طالب رضى الله عنه وكان ابن حسان عاملا عاها اذ ذاك فقتله سفيان وازال تلك الجبل عن مسالحها فخرج على رضى الله عنه حتى قام على السدة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه
الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف
الأواني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا
وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر
دارهم الاذلوا فتوا كلمتم وتخاذلتم وتقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم
ظهريا حتى سأت عليكم الغارات . هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار
وقتل ابن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجلا
صالحين وقد بلغتني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى
المعاهدة فينتزع احمالها وقلبا ورعتها ثم انصرفوا فارين ما كلم رجل
منهم كلفوا ان امرا مسلمامات من بعدها اسفا ما كان عندي ملوما بل
كان عندي بها جديرا فيا عجبا من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلكم
عن حقكم فقبحا لكم وترحاحين صرتم غرضا يرمى وفيثا ينهب يغار
عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم
بالسير اليهم في الحر قلم حرارة القميط امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا
امرتكم بالسير في البرد قلم امهلنا حتى ينسلخ عنا القرم كل هذا فرارا
من الحر والقرم فاذا كنتم من الحر والقرم تفرون فاتم والله من السيف
افر يا اشباه الرجال ولارجال ويا احلام الاطفال وعقول ربات الحجال
وددت ان الله اخرجني من بين ظهرائيكم وقبضني الى رحمة من بينكم
والله لو ددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم والله حرت ندما وورثتم
صدرى غيظا وجرعتموني الموت انفاسا وافسدتم علي رأبي بالعصيان
والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له
بالحرب لله ابوهم هل منهم احد اشدها مراسسا واطول لها تجربة
مني لقد مارسها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين ولكنه
لا رأى لمن لا يطاع . فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم

اخذ بيد اخ له فقال يا امير المؤمنين انا واخي كما قال الله تعالى ربى انى لا املك الا نفسى واخى فرنا باصرك فوالله لنضربن دونك وان حال دونك جمر الغضا وبنوك القتاد . فأتى عليهما خير اوفال لهما اين تقعان مما اريدتم نزل .

وخطبة اخرى له بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى قام فيهم
خطيبا فقال :

ايها الناس المجتمعة ادانهم المحتاة اهو اؤهم كلامكم بوهى العم
الصلاب وفعلكم يطمع فكم عدوكم سولون فى المجالس كيت وكيت فاذا
جاء القتال قائم حيدى حياىد . ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب
من فاساكم اعاليى باضاليل وسألتمونى التأخير دفاع دى الدين المطول
هيات لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد . أى دار بعدد اركم
تمنعون ام مع أى امام بعدى تقالون المغرور والله من غررتموه ومن
فاز بكم فاز بالسهم الاخيب اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع
فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم واعظبنى بكم من هو خيرلى منكم
لوددت ان لى بكل عمرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف
الدينار بالدرهم .

وانما اوردنا هاتين الخطبتين لتكونا دليلا على ان خطب الخلفاء
والاصراء غير مقصورة على الجمع والاعياد بل هم يخطبون عند مسيس
الحاجة فى كل وقت .

(خطبة الصلح)

واما خطب الصلح فهى الخطب التى يخطبونها اذا تهادنوا بعد حرب
فيسلون فيها السخائم ويمحون اثر الضغائن ويدعون الى التواصل وهذه
خاصة بالحروب التى كانت تقع بين قبائل العرب اذ الصلح بينهم وبين

غيرهم من الأمم لا يقع على هذا الشكل ومثل خطاب الصلح خطب الحمالة
ايضا فان الحمالة كسحابة هي الدية يحملها قوم عن قوم فاذا ارادوا حمل
دية قتيل قاموا وخطبوا بمثل خطاب الصلح . ورب فائل يقول يفهم
من هذا ان موضوع خطبة الحمالة كوضوع خطبة الصلح واذا انفقتا
في الموضوع فلما اذا جعلتهما نوعين ولم تعدها نوعا واحدا قال لئن اتفقتا
في الموضوع فقد اختلفتا في السبب فان خطاب الصلح مسيبة عن الحرب فتكون
بعد الحرب بغلا - خطاب الحمالة فاسها لم يسبق محرب وانما تكون لا بقا السلم
واستمرار - فانهم انما يقصدون بحمل دية القتيل منع وقوع الحرب فالسبب
الداعي الى هذه غير السبب الداعي الى تلك على ان موضوعيهما مختلفتان
ايضا من بعض الوجوه وان كانت بينهما مشابهة كما لا يخفى . ومن علامتهم
الاطالة في مثل هذه الخطب لان المقام داع الى الاطالة لا ترى الى قياس
ابن خارحة بن سنان لما ضرب الصنبرجة منه مؤخره راحتي الحاملين
في سنان حمالة داحس والغبراء وقال مالي وبها ابها العثمانان فالأبل ما
عندك قال عندي قري كل نازل ورضا كل - اخط وخطبه من لدن نطاع
الشمس الى ان تغرب أمر فيها بالنواصل واسمى عن النطاق فاولوا فخطب
يوما الى الليل ثمانا عاد فيها كلمة ولا معنى . فقبل لاني يعقوب راوى هذا
الخبر هلا اكتبى بالأمر بالنواصل عن اسمى عن النطاق أو ليس الأمر
بالصلة هو اسمى عن النطاعة قال أو ما علمت ان الكتابة والعريض لا
يعملان في العفول عمل الإفصاح والكشف .

(خطبة المواهب)

واما خطب المواهب فلم أر في كلام الجاحظ ما يكشف الضمير عن
وجه المراد بها . على ان الجاحظ لم يتكلم في كتابه عن هذه الأنواع
التي ذكرتها للخطب وانما جاءت هذه الاسماء عرضا في تضاعيف كلامه
فالنقطة من اما كن متفرقة من كتابه ولعل المراد بخطب المواهب

الخطب التي يستوهبون فيها الهبات ويطلبون الاعطيات عند وفودهم على الخلفاء والامراء كما وقع لهلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف ابن قيس عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد ذكر بشار بن عبد الحميد عن ابي ریحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر فقال هلال بن وكيع يا امير المؤمنين انا لباب من خلفنا وغرة من وراءنا من اهل مصرنا فانك ان تصرقنا باليد في اعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريف تأميلا وتكن لذوى الاحساب ابا وصولا فانا ان نكن مع ما نمت به من فضائلك وندلى من اسبابك كالجد الذي لا يحل ولا يرحد نرجع بانف مصلومة وجدود عائرة فمحننا واهلينا بسجل من سجالك المترعة . وقام زيد بن جبلة فقال : يا امير المؤمنين سود الشريف واكرم الحسيب وازرع عندنا من ايديك مانسد به الحصاصة ونطرد به الفاقة فانا بقف من الارض يابس الا كناف مقشعر الذروة لاشجر فيه ولا زرع وانا من العرب اليوم اذ أتيناك بمراى ومنمع . فقام الاحنف فقال : يا امير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يعنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيا يكفيك وقادة الوفود واستماعة المحتساج فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن عسى ان تفتحمه الاعين وتخونهم الالسن فلا يوفد اليك يا امير المؤمنين .
ومما يصح ان يكون من خطب المواهب خطبة الهذيل بن زفر عند يزيد بن المهلب قال ابو الحسن دخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونوايب نابتة فقال اصلحك الله انه قد عظم شأنك عن ان يستعان عليك ولست تصنع شيا من المعروف الا وانت اكبر منه وليس العجب بان تفعل ولكن العجب بان لاتفعل . فقال يزيد حاجتك فذكرها فامر بها وامر له بمائة الف درهم فقال اما الحمالات فقد قبلتها واما المال فليس هذا موضعه .

(خطبة يوم الحفل)

واما خطب يوم الحفل فهي الخطب التي يخطبونها اذا احتشدوا لامر قد اهمهم ونازلة المت بهم وناثبة نابتهم وغير ذلك من الامور في يوم الحفل هو يوم الاجتماع وهذا اشبه شئ بما يسمى اليوم « متينك » في اللغات الاجنبية ولاشك ان يوم الحفل غير الموسم لان اجتماعهم في الموسم لا يكون الا في وقت معين خاص بخلاف اجتماعهم في يوم الحفل فلا يقال ان خطب الموسم داخلة في خطب يوم الحفل . وايضا ان خطب الموسم عامة لا تختص بامر من الامور بخلاف خطب يوم الحفل فانها لا تكون الا في امر خاص من الامور . وقد ذكرنا لك عند الكلام على الاشارة ان معاوية اراد ان يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد فاجتمع الناس وقامت الخطباء فكان ذلك يوم حفل وكانت الخطب فيه خطب يوم الحفل وقد ذكرنا لك هناك ايضا خطبة يزيد بن المقنع وهي خطبة اشارية ومما يصح ان يكون من خطب يوم الحفل الخطبة التي خطبها ابوبكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة وذلك ان الانصار والمهاجرين اجتمعوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة يتنازعون امر الخلافة فقام حباب بن المنذر من الانصار فقال انا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب ان شتم كررناها جذعة . منا امير ومنكم امير فان عمل المهاجري شياً في الانصار رد ذلك عليه الانصاري وان عمل الانصاري شياً في المهاجري رد ذلك عليه المهاجري . فاراد عمر الكلام فقال ابوبكر على رسلك نحن المهاجرون اول الناس اسلاما واوسطهم دارا واكرم الناس احسايا واحسنهم وجوها واكثر الناس ولادة في العرب وامسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فاتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في النفي وانصارنا على العدو آؤيتهم

ونصرته وآسينم جزا كما لله خيرا نحن الاصرأ وانتم الوزراء ولا تدبنا العرب
الا لهذا الحى من قريش وانتم محفوقون ان تنفسوا على اخوانكم
من المهاجرين ماساق الله اليهم . وقال ان هذا الامر ان تطاوت اليه
الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاوت اليه الاوس لم تقصر عنه
الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فان نعق
منكم ناعق فقد جاس بين لحبي اسد يضمه المهاجرى ويخرجه الانصارى .
قال ابن دأب فرماهم والله بالملكته حتى فلوا انا قد رضينا . فيوم
المنقبعة يوم حفل وحطبة كل من حباب بن المنذر وابى بكر الصديق
من خطب يوم الحفل .

(خدابة بين السماطين)

واما الخطب بين السماطين فليس فى كتاب الجاحظ ما بينها والظاهر
أهـ الخطب التى بحبوتها بين القوم وقد اصطفوا صفين متقابلين
فان سماط القوم هو صممهم يقال قام القوم حوله سماطين اى صفين
وقال مسى بين السماطين اى بين الصميين من النوم . وقيل السماط هو
صم الجنود الذين بنقدمون بين بدى الملك وعليه فالخطب بين السماطين
هى الخطب التى يخطبونها عند الملوك والامراء . قياما بين صفين من الجنود
قد اصطفوا بين بدى الملك او الامير . واليك ما قاله سعيد بن مسلم والى
ارمينية قال كنت والى بارمينية فعبر ابوزهران العلافى على بابى اياما فلما
وصل الى مثل بين بدى قائما بين السماطين فقال والله ان لأعرف اقواما
لوعاموا ان سفف التراب يقيم من أود احصلاهم لجعلوه مسكة لازما فيهم
اينارا للتنزه عن عيش رقيق الخواسى اما والله انى لبعيد الوثبة بطي
العطفة انه والله ما بتينى عليك الا مثل ما يصرفنى عنك ولان اكون مقلأ
مقربا احب الى من ان اكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لانضبطه

ولا مالا الا نحن اكثر منه وهذا الامر الذى صار اليك فى يدك كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقبائه على من اعوج عن سبيله .

ومما يدل على ان الملوك والامراء كانوا اذ ذاك اذا قعدوا فى مجالسهم اقاموا حولهم سباطين اى صنيين من الجنود ما ذكره الخافظ فى كتاب البيان قال حدثني ابراهيم السندى فقال لما اى عبد الملك بن صالح وقد الروم وهو فى البلاد اقام على رأسه رحالا فى السباطين اثم قعر وهام ومناكب واجسام وسوراب وسعور فيناهم فباء بكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فاحفظه عدائلك فلم بدر اى نسي انكر منه فلما مضى الوقد قال له وبلت هلا اذا كنت ضيق المنخر كرك الخيشوم ابلغها بصيحة نخلع بها قاب العليج . فهذا وما تقدم من حديث والى ارمينية يتبين لنا ما هو المراد بالسباطين وماهى خطبة بين السباطين

(خطبة التأين)

واما حطب التأين فاعلم ان التأين هو الناء على انيت كما ان التقريظ هو الناء على الحى فخطب التأين هى الحطب التى يقومون فيها على قبر من مات فيندبون وبتون عليه بما هواهله ويعددون محاسنه فيكونه ويستبكون عليه وكان ذلك من عادتهم قديما . فمن ذلك تأين عائشة لابيها رضى الله عنهما وذلك انه لما توفى ابوبكر رضى الله عنه قامت عائشة على قبره فقالت نضر وجهك وسكر لك صالح سعيك فلقد كنت للنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها وان كان لاجل الارزاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر المصائب فقدك وان

كتاب الله ليعد بجميل العزاء حسن العوض منك فأتجز من الله موعدة
فيك بالصبر عنك واستخاصه بالاستغفار لك .

وقامت فرغانة بنت اوس بن حجر على قبر الاحنف بن قيس وهي
على راحلة فقالت انا لله وانا اليه راجعون رحمك الله ابا بحر من جن
في جن ومدرج في كفن فوالذي ابتلاني بفقدك وبلغنا يوم موتك لقد
عشت حميدا ومت فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد
وارى الزناد منيع الحریم سليم الاديم وان كنت في المحافل لشريفا وعلى
الارامل لعطوفا ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا وان كنت لمسودا والى
الخلفاء لموفدا وان كانوا لقولك نسمعين ورايك اتبين . ثم انصرفت .

وحدث اسماعيل بن عليه قال حدثنا زياد بن ابي حسان انه شهد
عمر بن عبدالعزيز حين دفن ابنه عبدالملك فلما سوى عليه قبره بالارض
وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون احداهما عند رأسه والاخرى
عند رجله ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما واحاط به الناس
قال رحمك الله يا بني فقد كنت برا بابيك ومازلت مذوهبك الله لي بك
مسرورا ولا والله ما كنت قط مسرورا بك ولا ارجى لحظي من الله
فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله اليه فغفر الله لك ذنبك
وجازاك باحسن عملك وتجاوز عن سيأتك ورحم الله كل شافع يشفع لك
بخير من شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لامره فالحمد لله رب العالمين .
ثم انصرفت .

ومات ذر بن ابي ذر الهمداني من نبي مرهبة وهو ذر بن عمر بن ذر
فوقف ابوه على قبره فقال يا ذر والله ما بنا اليك من فاقة وما بنا الى
احد سوى الله من حاجة يا ذر شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ثم قال
اللهم انك وعدتي بالصبر على ذر صلواتك ورحمتك اللهم وقد وهبت
ما جعلت لي من اجر على ذر لذر فلا تعرفه قبيحا من عمله اللهم وقد

وهبت له اساءته الى فهب لى اساءته الى نفسه فانك اجود واكرم .
فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال يا ذر قد انـسرتنا وتركنناك ولو
اقنا ماتفنناك .

واصببت اعرابية بابنها وهى حاجة فلما دفنته فامت على قبره وقالت
والله يا بنى لقد غذوتك رضيعا وفقدتك سريعا وكأنا لم يكن بين الحالين
مدة التذ بعيشك فيها فاصبحت بعدالنضارة والفضارة ورونى الحياة
والتنسم فى طيب روائحها نحت اطباق الثرى جدا هامدا ورفانا سحيفا
وصيدا جرزا . اى بنى لقد سحبت الدنيا عليك اذيال القنا واسكنتك
دارالبلى ورمتى بعدك نكبة الردى . اى بنى لقد اسفرلى عن وجه
الدنيا صباح داج ظلامه ثم قالت اى رب ومنك العدل ومن خلقك
الجور وهبتلى قرة عين فلم تمتعنى به كثيرا بل سلبتني وسيكاتم امرتى
بالصبر ووعدتنى عليه الاجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله
من تراحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى اللهم ارحم غربته
وآنس وحشته واسترعورته يوم تكشف الهنات والسوات . فلما ارادت
الرجوع الى اهلها قالت اى بنى انى قد تزودت لسفرى فليت شعرى
مازادك ابعـد طريقك ويوم معادك اللهم انى اسألك له الرضا برضائى عنه
ثم قالت استودعتك من استودعك فى احشائى جينا .

وانكل الوالدات ما امض حرارة قلوبهن واقاق مضاجعهن واطول
ليلهن واقصر نهارهن واقل النسهن واشد وحشتهن وابعدهن من
السرور واقربهن من الاحزان .

(خطبة الموسم)

الموسم هو المجتمع سعى به لانه معلم يجتمع اليه وقد كثر استعماله
لوقت اجتماع الحاج وسوقهم فى مكة . ولقد كان للعرب اسواق يقيمونها

في اوقات معينة وينتقلون من بعضها الى بعض لا يبيع والنراء وكان
يخترها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويتناشدون الاسعار ويلقون
الخطب ويتحاكون فيها الى قضاء نغصوا انفسهم لنقد الشعر وبيان غثه
من حمينه وتفضل ساعر على آخر فكانوا يفضلون من سهلت عبارته
وكان لها التصيب الاوفر من التصاحفة وحس البيان مع التجرز من
الغيب والابتعاد من النقص ونحیرون في خطبهم وانسعارهم من لغات
العرب ما خلا في الذوق وخف على السمع فكانت هذه الاسواق اديبة
علمية ومجتمعات ادوية اديبه يوصل بها العرب الى تهذيب لغتهم لفظا
واسلوبا وجعل لغة الشعر والخطابة لغة واحدة بين جميع القبائل فمن
هذه الاسواق ائتمنه وذوا الخار وعكاظ واسهرها سوق عكاظ وهي موسم
للعرب من اعظم مواسمهم وعكاظ نعل في واد بين ثنية والطائف
من بلاد الحجاز وبنيه وبين الطائف عسرة اميال فكانوا يتبايعون في
هذه السوق وينما كثلون وينفاحرون وساحون ونشد الشراء ما يجدد
لهم وقد كبر ذلك في اسعارهم كقول حسان

سأسر ان حات لهم كلاما يدبر في الخينة مع عكاظ

وفي عكاظ كان يخطب كل خطيب مصقع وكان كل شريف ائبا يخير
سوق بلده الاسواق عكاظ فانهم كانوا ينوون بها من كل جهة فمن كان
له اسير سبي في قدينا ومن كانت له حكومة ارفع الى الذي تقوم باصر
الحكومة . وكانت هذه السوق تقوم من اول ذي القعدة الى العشرين منه
على المسهور وانخذت عكاظ سوفا بعد عام النبل بحمس عشره سنة وتركت
بعد ان نهبا الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة .

فخطب الموسم هي الخطب التي كانوا يخطبونها في هذه الاسواق وغيرها
من المواسم . وكانوا يخطبون في الموسم وهم على رواحلهم قال ابو
عبدة وكانت العرب تخطب على رواحلها وكذلك روى النبي صلى الله

عليه وسلم عن قس بن ساعدة على ما ذكره ابن العربي في المسامرات حيث قال ان الجارود بن عبدالله لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبدالقيس فاسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا حارود هل في جماعة وفد عبدالقيس من يعرف انا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله وانا من بين قومي كنت افنو اثره واطاب خبره واخذ يصف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قسا وانشد في آخر كلامه ابيانا فما انما حتى قال له انبي صلى الله عليه وآله وسلم على رسلك يا جارود فلست اساء بسوق عكاظ على جبل له اوراق وهو يتكلم بكلام موقوف ماظر انى احفظه فيل فيكم من يحفظ انا منه -- ا . معانير المهاجرين والانصار فوب ابو بكر رضى الله عنه فآثا وقال يا رسول الله انى احفظه ثم ذكر كلامه وسند ذكر هذه الخطبة في محلها .

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة حجة الوداع في عرفه وهو على راحته كما ذكر ذلك ابن العربي ايضا حيث قال عند ذكر حجة الوداع حتى اذا زالت الشمس امر صلى الله عليه وسلم بناقته القصى فرحلت له ثم اتى بطن الوادى فخطب الناس على راحته . وقد ذكر الجاحظ هذه الخطبة وهي هذه .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اوصركم عباد الله بنفوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير . اما بعد ايها الناس اسمعوا منى ايبين لكم فانى لا ادري اعلى لا االقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . ايها الناس ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا هل بلغت اللهم اشهد فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمه عليها . وان ربا

الجاهلية موضوع وان اول ربا ابدأ به رباعى العباس بن عبدالمطلب
وان دماء الجاهلية موضوعة وان اول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة [*]
ابن الحارث بن عبدالمطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة
والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة
بعير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية . ايها الناس ان الشيطان قديس ان
يعبد في ارضكم هذه ولكنه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون
من اعمالكم . ايها الناس ان النسي زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وان الزمان قد
استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله
اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة
حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب
الذى بين جمادى وشعبان اهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان لنسائكم
عليكم حقا ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم
ولا يدخلن احدنا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين فاحشة فان فعان
فان الله قد اذن لكم ان تعضوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن
ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله فانقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا
الاهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ
مال اخيه الا عن طيب نفس منه الاهل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن
بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم
به لم تضلوا بعده كتاب الله الاهل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس ان ربكم

[*] قوله دم عامر بن ربيعة كان عامر مسترضعا في بني سعد بن بكر بن
هوازن قتلته هذيل وذكر النسابون انه كان صغيرا يحبوا امام البيوت وكان
اسمه آدم فاصابه حجر عابر اوسهم من غرب من يد رجل من بني هذيل فمات .

واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب اكرمكم عندالله اتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد . قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب . ايها الناس ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولايجوز لو ارث وصيته ولايجوز وصيته في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه اوتولى غير مواليه فعليه لعنةالله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن خطب الموسم خطبة قس بن ساعدة التي خطبها في عكاظ وهو على راحلته كما مر آنفا فقال ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت . وقال في هذه آيات محكمات مطر ونبات وآبَاء وامهات وذاهب آت ونجوم تمور وبحور لا تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع وليل داج وسماء ذات ابراج مالى ارى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا فاقاموا ام حبسوا فناموا . وقال يا معشر اباد أين تمود وعاد وأين الآباء والاجداد وأين المعروف الذي لم يشكر والظلم الذي لم ينكر اقسم قس قسما بالله ان الله ديننا هو ارضى له من دينكم هذا وانشأ يقول

في الذاهين الاولين	من القرون لنا ابصار
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضى الاكابر والاصغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقين غابر
ايقت انى لا محالة	حيث صار القوم صائر

هكذا ذكر الجاحظ هذه الخطبة وقد ذكرها ابن العربي في المسامرات اطول وفيها زيادة على ما ذكره الجاحظ .
ومن خطب الموسم خطبة لابن عباس اجاب بها عمرو بن العاص

وذلك ان عمرو بن العاص قام بالموسم فاطرى معاوية وبنى امية وناول
بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بصننين فقام ابن عباس فقال يا عمرو انك
لعت دينك من معاوية فاعطيته ما فى يدك ومناك ما فى يد غيره فكان
الذى اخذ منك فوق الذى اعطاك وكان الذى اخذت منه دون ما اعطيته
وكل راض بما اخذ واعطى فاما صادت مصر فى يدك نابعك فيها بالعزيز
والنقص حتى لو ان نفسك فيها المينها اليه . وذكرت مشاهدك بصننين
فما ثقات علينا يومئذ وطأنك ولانكنا فيها حرك وان كنت فيها الطويل
اللسان قصيراللسان آخر الحرب اذا اقبات واواها اذا ادبرت . لك بدان
بلا تبسطها الى خير وبد لا تقضها عن سر ووجهان وجه مؤنس ووجه
موحش واعمرى ان من باع دبنه بديا غيره لخرى ان يطول حزنه على
ماباع واسترى . لك بيان وفك خطاى ولك رأى وفك نكد ولك
قدر وفك حسد فاصغر عيب يك اعظم عيب فى غيرك . فقال عمرو
اما والله ما فى قریش احد اثقل وطاة على منك ولا لاحد من قریش
قدر عندى مثل قدرك .

(خطبة النكاح)

ومن الخطب خطبة النكاح فقد كانوا اذا خطبوا امرأة واجتمعوا
عند وليها لاجل الاملاك يخطب احدهم فيتكلم بما يرغب ولى المرأة فى
الخطب من مدحه والثناء عليه فيجيبه الولي بالقبول وبذلك يتم الاملاك
والسنة عندهم فى خطبة النكاح ان يطيل الخطب ويقصر الجيب . ومن
عادتهم فى خطبهم كلها انهم يخطبون وهم قيام الا فى خطبة النكاح فان
الخطيب يخطب وهو فاعد وقد روى ابو مخنف عن الحارث الاعور قال
والله لقد رأيت عليا وانه ليخطب فاعدا كقائم ومحاربا كسالم . يريد
بقوله فاعدا خطبة النكاح وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب

قصودا الا في خطبة النكاح . وكانت خطبة النكاح اشق عليهم من غيرها من الخطب ومقام الخطيب فيها اخرج فلا يقدم عليها الا من كان في بيانه ابرع وعلى القول في المقام الضنك اجرا ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح . ومما يذكر في هذا الباب ما نشد ابن الاعرابى لابي مسهر العكلى من قوله

لله در عامر اذا نطق في حفل املاك وفي تلك الخلق
ليس كقوم يعرفون بالشدق من خطب الناس ومما في الورق
يلفون القول تليف الحاق من كل نضاح الدفارى بالمرق
اذا رمت الخطباء بالحدق

والدفارى جمع الذفرى والذفران للبعير وهما اللحمتان في قفاه وقد عنى الشاعر بالدفارى هنا بدن الخطيب لان عرق الخطيب في اثناء الخطبة معيب عندهم كما قد ذكرناه في معايب الخطيب وانما خص الشاعر خطب الاملاك بالذكر لانهم يذكرون انه يعرض للخطيب فيها من الحصر اكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح .

وقد سئل ابن المقفع عن قول عمر هذا فقال ما عرفه الا ان يكون اراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب في اجواف الحداق ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء واكفاء واذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية قال الجاحظ وقد ذهب ذاهبون الى ان تأويل قول عمر يرجع الى ان الخطيب لا يجب بدا من تزكية الخطيب فلعله كره ان يمدحه بما ليس فيه فيكون قد فال زورا وغر القوم من صاحبه قال ولعمري ان هذا التأويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه واشباهه من الائمة الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين فلم يكونوا يتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح . قلت اما

كون الأئمة الراشدين لم يتكلموا ذلك إلا فيمن يستحق المدح فغير مسلم
لان الخلفاء الراشدين لم ترفعهم الخلافة عن مخالطة العامة فلو دعاهم في العامة
رجل من عرض الناس الى الخطبة لما ترفعوا عن اجابته كما هو معلوم
من سيرتهم الراشدة

وها نحن نأنيك بنتف من خطب النكاح مما عثرنا عليه في تضاعيف.
كلام الجاحظ في كتاب البيان لتعلم بذلك ولو مجملا كيف كانوا يخطبون
في النكاح . فمن ذلك ما روى عن الحسن البصرى انه كان يقول في خطبة
النكاح بحمد الله والثناء عليه اما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام
المنقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح
من امره وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة .

ولما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوج خديجة رضى الله عنها وذهب
صلى الله عليه وسلم هو وعمه ابو طالب وزمرة من رجال قريش وبني
هاشم يخطبونها من عمرو بن خويلد عمها خطب ابو طالب خطبة النكاح
فقال :

الحمد لله الذى جعلنا من فدية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضى معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمة وجعل لنا بيتا محجوجا
وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن احمى هذا محمد بن
عبدالله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا . فان
كان فى المال قتل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة . وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . ومحمد من قد عرقم
قربته وقد خطب اليكم راغبا فى كرىمكم خديجة بنت خويلد وبذل
لها من الصداق ما عاجله وآجله انثا عشرة اوقية ونش . والش نصف
الاقوية وكذا نصف كل شئ يقال نش الدرهم ونش الرغيف اى نصفه
وكانت الاوقية عند العرب اربعين درهما .

ولما سكت ابو طالب اجابه ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على من عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لايتكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بجيلكم فاشهدوا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبدالله على ما ذكر من المهر . ثم سكت فقال له ابوطالب انى احببت ان يشركك عمها . يعنى عمرو بن خويلد فقال عمرو اشهدوا على يامعسر قريش انى قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد ثم قال هو الفحل لايقرع انفة . وهو مثل تصره العرب للشريف الذى اذا خطب كريمة قوم لايردونه .

وخطب محمد بن الوليد بن عتية الى عمر بن عبدالعزيز اخته فقال عمر الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء : اما بعد فقد احسن بك ظنا من اودعك حرمة واحتراك ولم نختر عليك وقد زوجناك على ما فى كتاب الله من امالك بمعروف او تسريح باحسان . وكان لخالد بن صفوان مولى فقال له يوما زوجنى امك فلانة قال قد زوجتكها قال أفادخل الحى حتى بحضوروا الخطبة فقال ادخلهم فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال : اما بعد فان الله اعز واجل من ان يذكر فى نكاح هذين الكلين وقد زوجنا هذه القاعة من هذا ابن القاعة . وقال ابوالحسن خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت ام الجارية مجل الله موتك ألهذا دعوناك . وكانت قريش فى الجاهلية تخطب خطبة النكاح هكذا باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما اعطيت .
والغالب ان يكون الخطيب فى خطبة النكاح غير الخطب لان الخطاب

إذا كان هو الخطيب لنفسه اضطر الى تزكية نفسه ومدحها وذلك مما لا يستحسن وربما كان الخاطب هو الخطيب كما وقع ذلك للفضل الرقاشي فانه خطب الى قوم من بني تميم فخطب هو خطبة التكاح فلما فرغ قام اعرابي منهم فاجابه قائلاً توسلت بحرمة وواليت بحق واستتدت الى خير ودعوت الى سنة ففرضك مقبول وما سألت مبذول وحاجتك مقضية ان شاء الله تعالى . قال الفضل لو كان الاعرابي حمد الله في اول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحتني يومئذ . اى ان هذا الاعرابي الذي اجاب الفضل قد ترك الحمد في اول كلامه فجاءت خطبته ببراء وترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت خطبته توهاء ولولا ذلك لكان في خطبته هذه اخطب من الفضل لان ترك الحمد والصلاة في اول الخطبة معيب عندهم كما سند كره في المبحث الآتى

المبحث الثامن

فيما يلحق الخطب من البتر والشوه عندهم

كان خطباء العرب اذا خطبوا يستفتحون الكلام بتحميد الله تعالى وتمجيده ويتبعون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما انهم كانوا يستحسنون ان يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك عندهم مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقه وحسن الموقع . قال الهيثم قال عمران بن حطان اول خطبة خطبتها عند زياد فاعجب بها زياد وتهداها عمى وابى وقد ظننت انى لم اقصر فى تلك الخطبة عن غاية ولم ادع لطاعن من علة ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم هذا الفتى اخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن . اما الخطبة التى لم يستفتح صاحبها كلامه فيها بالحمد فقد كانوا يصفونها بالبتر فيقولون خطبة براء ومنه « خطب زياد خطبته البراء » وسند كره

هذه الخطبة كما انهم كانوا يصفون بالشوه الخطبة التي لم يزينها صاحبها
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوتجها بأى من القرآن فيقولون
خطبة شوهاء . قال الجاحظ في كتاب البيان وما زالوا يسمون الخطبة
التي لم يبتدأ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون
التي لم توشخ بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الشوهاء
قال وخطب اعرابي فلما اعجبه بعض الامر عن التصدير بالتحميد
والاستفتاح بالتمجيد قال : اما بعد بغير ملال لذكرا لله ولا ايتار غيره
عليه فاناقول كذا ونسأل كذا . فرارا من ان تكون خطبته بتراء . وكذلك
فعل تيب بن شبة في احدى خطبه حيث قال : الحمد لله وصلى الله على
رسوله اما بعد فانانسأل كذا ونبذل كذا . فاختصر الحمد والصلاة
في اول كلامه فرارا من ان تكون خطبته بتراء ونسوهاء . وخطب
زياد بالبصرة خطبة لم يبتدأ فيها بحمد الله فاشتهرت بالبتراء وهي من
غرد الخطب المشهورة . قال ابو الحسن المدائني راويا عن مسلمة بن
محارب وعن ابي بكر الهذلي قال قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن
ابي سفيان وقد ضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة يومئذ
كثير فاش قال فخطب خطبة بتراء لم بحمد الله فيها وقال غيرها بل قال
الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما
زدتنا نعمنا فالهمنا شكرا : اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء
والنفي الموفى باهله على النار مافيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من
الامور العظام يثبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأ
كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب
الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول أتكفونون كمن
طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية
ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من

ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله . هذه المواخير المنصوبة والضعيفة
المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاية تمنع
الغواة عن دليج الليل وغارة النهار قريبتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون
بغير العذر وتفضون على المحتلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع
من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما اتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء
فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انهكوا حرم الاسلام ثم
اطرقوا وراءكم كنوسا في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب
حتى اسوبها بالارض هدماء واحراقا . انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح
الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وسدة في غير عنف وانى اقسام
بالله لا آخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالمعصى
والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاء فيقول
انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم قاتكم . ان كذبة المنبر ببقاء مشهورة
فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها منى
فاعتمزوها في [*] واعلموا ان عندي امثالها . من تقب منكم عليه
فانا ضامن لما يذهب منه فايى ودليج الليل فانى لا اوتى بمدليج الاسفكت
دمه وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم .
وايى ودعوى الجاهلية فانى لا اجد احدا دعابها الا قطعت لسانه . قد
احدتم احداثا لم تكن وقد احداثا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما
غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن تقب بيتا تقبناه عن قلبه ومن نبش
قبرا دفناه حيا فيه فكفوا عنى ايديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدي
ولسانى ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتهم الا ضربت
عقه . وقد كانت بينى وبين اقوام احن فجعات ذلك دبر اذنى وتحت
قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسينا فليزرع
[*] قوله فاغتمزوها اي فاطعنوا على بها يقال فعلت شيئا فاغتمزه فلان اي
طعن على فيه .

من اساءته . انى لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضى لم اكشف له قناعا ولم اهتك له ستر حتى يبدي لى صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم قرب ميتس بقدمنا سير ومسرور بقدمنا سيبتس . ايها الناس انا اصبحتنا لكم ساسة وعنكم ذادة بسوسكم بسسلطان الله الذى اعطانا ونذود عنكم نفى الله الذى خواتنا فلانا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولبنا فاستوجبوا عدلنا وفياتنا بمناصحتكم لنا واعلموا انى مهمما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولوانانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا [٤] لكم بعشا فادعوا الله بالصلاح لا ائتمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تاوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغصهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا ندركو له حاجتكم مع انه لو استحيب لكم فيهم لكان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتونى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرى منكم ان يكون من صرعاى . قال فقام اليه عبدالله بن الاهتم فقال اشهد ايها الامير لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه قال فقام الاحنف بن قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا ان نثنى حتى نبلى فقال له زياد صدقت فقام ابوبلال مرداس بن امية وهو يهمس ويقول انبانا الله بغير ما قلت قال الله واى ابراهيم الذى وفى الأتزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ماسى وانت تزعم انك تأخذ البرى بالسقيم والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدبر . فسمعها زياد فقال له انا لانبلغ ما تريد فيك وفى اصحابك حتى نحوض اليكم الباطل خوضا .

[٤] قوله ولا مجمرا لكم بعنا اى ولا حابسا لكم جيشا فى ارض العدو يقال جمر الجيش اى حبسهم فى ارض العدو ولم يقفلهم من الثغر وفى الحديث لا تجمروا الجيش فتفتنوهم .

وزياد هذا كان من مشاهير خطباء العرب وكان كلما اطال الكلام زاد اجادة فيه . فقد روى عن خلاد بن يزيد الارقط انه قال سمعت من يخبر ان الشعبي قال ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فاحسن الا احببت ان يسكت خوفاً من ان يسيء الا زيادا فانه كان كلما اكثر كان اجود كلاماً . وقال ابو الحسن المدائني قال الحسن اواعد عمر فعفا واواعد زياد فابتلى قال وقال الحسن ايضاً تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس .

المبحث التاسع

ف

تمثل الخطباء بالشعر

ان جميع خطباء العرب من اهل المدر والوبر على ضريين ومنها الطول ومنها القصار والخطب الطوال اكثر مئة للتمثل بالشعر فيها لان الطول داع الى ذلك غير ان الجاحظ قد صرح في كتاب البيان بان اكثر الخطباء لا يمتثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر وانهم لا يكرهونه في الرسائل الا ان تكون الى الخلفاء . قال وسمعت مؤملاً بن خاقان يخطب وذكر في خطبته تميم بن مر فقال ان تيماله الشرف القديم والسؤدد والعز الاقص والعدد الهیضل وهي في الجاهلية القدام والازوة والسنام وقد قال الشاعر .

فقلت له وانكر بعض شائي ألم تعرف رقاب بنى تميم

قال وكان صالح المري القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد في قصصه
وفي مواعظه هذا البيت .

فبات يروى اصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

وانشد الحسن في مجلسه وفي قصصه وفي مواعظه

ليس من مات فاستراح بميت أما الميت ميت الأحياء

قال وانشد عبدالصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي الخطيب القاص
الشجاع اما في قصصه واما في خطبة من خطبه

ارض تخيرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن ام دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل مايلهي به يوما يصير الى بلى وتفاد

وقال ابو الحسن خطب عبدالله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فانشد
في خطبه

اين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقها
تلك المدائن بالآفاق خالية امست خلاء وذاق الموت بانها

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها خطبة عبدالله بن همام السلولى التي
هنا بها يزيد بن معاوية بالخلافة وعزاه عن ابيه قال :

يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك في العطية واعانك على
الرعية فلقد رزئت عظيما واعطيت جنسها فاشكر الله على ما اعطيت
واصبر على مارزيت فقد فقدت الخليفة واعطيت الخلافة ففارقت جليلا
ووهبت جزيلا قضى معاوية نجه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة فاعطيت
السياسة فاوردك الله موارد السرور ووقفك لصالح الامور وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم واشكر لاجاء الذي بالملك اصفاك
لارزء اصبح في الاقوام قد علموا كما رزئت ولا عقي كعباك
اصبحت راعي اهل الدين كلهم فانت ترعاهم والله يرعاك
وفي معاوية الباقي لنا خلف اذا نعت ولا نسمع بمنعك

ومن الخطب التي انشد فيها صاحبها متمثلا خطبة الحجاج التي خطبها

لما قدم الكوفة واليا . قال الجاحظ حدثني محمد بن يحيى بن علي عن
عبد الحميد عن عبد الله بن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج
الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على التجائب حتى
دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث
المهلب الى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو
متلم بعمامة خزجمره فقال : علي بالناس فحسبوه واصحابه خوارج فهموا
به حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

اما والله اني لاحتمل الشر بحلمه واحذوه بنعله واجزيه بمثله وانى
لارى رؤسا قد ائتمت وحن قطاقها وانى لصاحبها وانى لا نظر الى
الدماء ترقرق بين العمام واللباح « قد سمرت عن ساقها فشمع » ثم قال

هذا اوان الشد فاستدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غم ولا بجزار على ظهر وضم

قال ايضا

قد لفها الليل بعصليّ اروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعراى

انى والله يا اهل العراق والشقاق والتفاق ومساوى الاخلاق ما اغمر
تغمازالتين ولا يقعق لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفشت عن
تجربة وجريت من الغاية ان امير المؤمنين كب كنيته ثم عجم عيد انها
فوجدنى امرها عودا واصلها عمودا فوجهنى اليكم فانكم طالما اوضعتم
في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسنتم سنن النى اما والله لالحونكم
لحو العصا ولا عصبنكم عصب السلمة ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل
فانكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغدا من كل

مكان فكفرت بانتم الله فاذا قهها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .
انى والله لااعد الاوفيت ولا اهر الا امضيت ولا اخلق الا فريت فايى
وهذه الجماعات وفالا وقبلا وما نقول وفيم اتم وذاك . اما والله لتستقيم
على طريق الحق اولاد عن لكل رجل منكم -علا فى جسده . من وجدت
بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهت ماله ثم دخل منزله .

وللهججاج خطبة اخرى انشد فيها ايضا قال المهيم بن عدى قال
انبأني ابن عياش عن ابيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة
فسمع تكبيرا فى السوق فراع ذلك فصعد المبر وحمد الله واتى عليه
وصلى على نبيه ثم قال يا اهل العراق يا اهل الشماق والتفاح ومساوى
الاخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا واولاد الاماء والفقع بالقرفر انى
سمعت تكبيرا لا يراد به الله وانما يراد به الشيطان وانما مثلى ومثلكم
ما قال عمرو بن براق الهمداني .

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل انا فى ذايال همدان ظالم
مقى تجمع القاب الذكى وصارما وانفا حيا تجنبتك المطالم

اما والله لا تقرع عصا عصا الاجعلتها كأمس الدابر .

المبحث العاشر

ف

منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

لازيرد هنا ان نحكم حكما باتا فيما بين منزلتى الخطيب والشاعر من
التفاضل حتى يتعين بذلك أيهما اعلى منزلة من الآخر لان ذلك ليس
من غرضنا هيها ولانه داع الى التطويل الذى ليس لنا من الوقت ما يسهه .
سوى ان الحكم العام فى هذه المسألة هو ان المجتمع الانسانى محتاج الى
كليهما ولكن هذا الاحتياج قد يتفاوت فى الدرجات بسبب ما يعرض له

من الزيادة والتقصان فربما يطرأ من الاحوال ويحدث من الامور ما تكون الحاجة فيه الى الشاعر اشد فيعلو على الخطيب منزلة وبالعكس . وايضا قد يطرأ على اهل الشعر او اهل الخطابة من الاحوال ما يستوجب علو منزلة احد الفريقين على الآخر .

اما العرب فقد كانوا اشد الالام اهتماما بشعرائهم وخطبائهم حتى لقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب وكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتتها القبائل تهنئها به . وقد كان الشعراء عندهم اعلى منزلة من الخطباء ولكنهم لما تبدلوا في الشعر انحطت منزلتهم وصارت منزلة الخطباء اعلى من منزلتهم . قال الجاحظ قال ابو عمرو بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم ما اثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عدوهم ويهاجم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثرت الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول « الشعر ادنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى » قال ولقد وضع قول الشعر من قدر الثابغة الذبياني ولو كان في الدهر الاول ما زاده الا رفعة اه وقد زعم جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ان مجيئ الاسلام هو السبب في تقديم الخطيب على الشاعر . وهذا خطأ فاحش منه والصواب ما قاله ابو عمرو بن العلاء الذي هو اعلم الاولين والآخرين باخبار العرب واحوالهم وناهيك برجل فيه يقول الفرزدق الذي هو كما قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

وفي ابي عمرو هذا يقول مكي بن سواده

الجامع العلم تنساء ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا

المبحث الحادى عشر

ف

ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا

ليس هناك فرق كبير بين صناعة الخطيب وصناعة الشاعر اذ كلتا الصناعتين شعرية ادبية فكلا الرجلين من خطيب وشاعر يقولان الشعر غاية ما هنالك ان شعر احدهما موزون وشعر الآخر غير موزون . ومع ذلك فان مواقعهما مختلفة فالشاعر مواقف لا يقفها الخطيب وللخطيب مواقف لا يقفها الشاعر ومن اجل ذلك اختلف منزلتهما في المجتمع الانسانى وحاز ان يقع التفاضل بين منزلتهما .

وربما اجتمعت الصناعتان في شخص واحد فكان خطيبا وشاعرا قال الجاحظ وفي الخطباء من يكون ساعرا ويكون اذا تحدث او وصف او احتج بليغا مفوها بيّنا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا فقط وبين اللسان فقط اه والذى يفهم من كلام الجاحظ هذا ان هناك رجلا ثالثا غير الخطيب والشاعر وهو البليغ المفود اليه اللسان . وعليه فقد يكون الانسان ذابلاغة وبيان ولا يكون خطيبا ومعنى ذلك انه اذا تكلم تكلم ببلاغة وحس بيان ولكن لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن عبدالله بن الزبير قال الجاحظ كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من ابين الناس ولم يكن خطيبا .

قال والخطباء كثير والشعراء اكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل فمن جمعوا الخطابة والشعر عمرو بن الاهتم المنقرى التميمى وكان يدعى المكحل لجماله وهو الذى قيل فيه انا شعره حلال منشرة بين ايدى الملوك تأخذ منه ماشاءت ولم يكن في بادية العرب في زمانه اخطب منه . وعمرو بن الاهتم هذا هو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى

حسن بيانه وبراعة منطقته (ان من البيان لسحرا) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الازهر عن الزبرقان بن بدر والزبرقان حاضر فقال انه مانع لحوزته مطاع في اذنيه فقال الزبرقان اما انه قد علم اكثر مما قال لكنه حسدني شرفي فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الاضيق الصدر زمر المروءة لثيم الخال حديث الغني . فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اوبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك (ان من البيان لسحرا) .

ومن جمعوا الخطابة والشعر قس بن ساعدة الايادي وهو الذي روى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه وذكر موقفه على جملة بعكاظ وموعظته وعجب من حسنه واظهر من تصويبه قال الجاحظ وهذا اسناد تعجز عنه الاماني ونقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك لقس ابن ساعدة لاحتجاجة للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب فاطبة .

ومن جمعوا الخطابة والشعر من خطباء اياد زيد بن جندب الايادي خطيب الازارقة وقد ذكره الشاعر في مرتينه لابي داود بن جرير الايادي ضاربا المثل به وبغيره من خطباء اياد حيث قال

نعي ابن جرير جاهل بتصايبه	فعم نزارا بالبكا والنحوب
نعاه لنا كالليث يحمي عربنه	وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب
واصبر من عود واهدى اذا سرى	من النجم في داج من الليل غيب
واضرب من حد السنان لسانه	وامضى من السيف الحسام المشعب
زعيم نزار كلها وخطيبها	اذا قال طاطا رأسه كل مشعب
سليل قروم سادة ثم قالة	يبزون يوم الجمع اهل المحصب

كقس اباد او اقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زبد بن جندب
وزيد بن جندب هذا هو الذي يقول في الاختلاف الذي وقع بين
الازارقة .

قل للمحليين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والمهرب
كنا انا سا على دين ففرقتنا فرع الكلام وخلط الجد باللعب
ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم عن الجدال واغناهم عن الخطب
انى لاهونكم فى الارض مضطربا مالى سوى فرسى والريح من اشب

ومن الخطباء الشعراء البيهت المجاسى واسمه حداس بن بتر بن لبيد
وانما قيل له البيهت لقوله

تبعت منى ما تبعت بعدما امرت حبالى كل مرها شزرا

وقال عبدالله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن اخطاب بنى تميم فقال
خداس بن لبيد يعنى البيهت الشاعر وقال ابو اليفظان كانوا يقولون
اخطب بنى تميم البيهت اذا اخذ القنائة فهزها ثم اعتمد بها على الارض
ثم رفعها ولم يكن البيهت فى الشعر مبرزا كالحطابة ولذلك قال يونس
لعمري لئن كان مغلبا فى الشعر لمد كان غاب فى الخطب . واذا قالوا غلب
فهو الغالب واذا قالوا مغاب فهو المغلوب كما قال امرؤ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وليس البيهت وحده ترك اسمه واسمها باسم آخر مشتق من سعده
بل امثاله فى ذلك كثير فتمهم عوف بن حصين بن حذيفة بن بدر غاب
عليه عويف القوافى لقوله .

سا كذب من قد كان يزعم انى اذا قلت شعرا لا اجيد القوافيا

فسمى عويف القوافى . ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي غلب عليه
المزرد لقوله

فقلت تزردها عبيد فاني لدرد الموالى فى السنين مزرد
فسمى المزرد وقوله تزردها اى ابتلعها . والدرد جمع ادرد وهو من
ذهبت اسنانه كلها . ومنهم عمرو بن سعيد بن ملك غلب عليه المرقش
لقوله

الدار ققر والرسوم كما رقص فى ظهر الاديم قلم
فسمى مرقشا . ومنهم سالم بن نهار العبدى غاب عليه الممزق لقوله
فان كنت ما كولا فكن خير آكل والا فادركنى ولما امزق
فسمى الممزق . ومنهم جرير بن عبدالمسيح الضبى غاب عليه المتلمس
وذلك لقوله

فهذا اوان العرض طن ذبابه زنايرد والازرق المتلمس
فسمى المتلمس . ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو المسامى ابو خنساء بنت
عمرو غاب عليه الشريد لقوله

تولى اخوتى وبقيت فردا وحيدا فى ديارهم شريدا
فسمى الشريد . ومنهم من المولدين مسلم بن الوليد غلب عليه صريع
الغوانى وذلك لقوله

وما العيش الا ان اروح مع الصبا واغدو صريع الراح والاعين التجل
فسمى صريع الغوانى . ومنهم ابو الطيب احمد بن الحسين غلب عليه
المتنى لقوله

انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود
فسمى المتنى وقيل سمي بذلك لانه ادعى النبوة وهو قول ضعيف
ومن الخطباء والشعراء الكميت بن زيد الاسدى وكنته ابوالمستهل
وهو من شعراء مضر وألستها وكان مشهورا بالتشيع لبني هاشم وله
قصائد فيهم تسمى الهاشميات وهو القائل من قصيدته فى هذا الباب .

بني هاشم رهط النبي فاتي بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى وكنيته ابو نضر
وهو من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ في الشام وانتقل الى
الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام واعتقد مذهب الشراة
والازارقة بدل على ذلك قوله .

لقد سقيت سقاء لا انقطاع له . ان لم افز فوزة سحبي من النار
والنار لم ينح من روعانها احد الا المنيب بقلب المخلص الشارى
او الذى سمعت من قبل مولده له السعادة من خلاقها البارى

وكان معاصرا للكعبية بن زيد الاسدى المتقدم ذكره وكانا صديقين
قال الجاحظ ولم ير اناس اعجب حالا من الكعبية والطرماح كان الكعبية
عدنا نيا عصبيا وكان الطرماح فخطابا عصبيا وكان الكعبية سعييا من
الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصغربة وكان الكعبية بتعصب لاهل
الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام وبهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة
ما لم يكن بين نفسيين قط ثم لم يجر بينهما صرم ولا جصوة ولا اعراض
ولا شئ مما ندعو هذه الحصال اليه . قال القاسم بن معن قال محمد بن
سهل راوية الكعبية انشدت الكعبية قول الطرماح .

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى النجد واسترخى عنان القصائد
فقال الكعبية اى والله وعنان الخطابة والرواية . وكان الاصمعي
يستجيد قول الطرماح في صفة الثور

يبدو وتضمره التلال كأنه سيف يسل على التلال وينمذ

وللطرماح قصائد كثيرة في هجو بني تميم وهو القائل فيهم

تميم بطرق اللؤم اهدى من القظا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته ابو شهاب احد بني

عمرو بن تيبان اخوة سدوس وكن من خطباء الشراة ودعائهم المقدمين
في مذاهم فهو رئيس القعدة وصاحب قتيامهم ومقرّهم عند اختلافهم
وكان الحجاج ياج في طاب عمران بن حطان وبلغه ان غزاة الحرورية
دخلت على الحجاج فتحصن منها واغلق عليه قصره فكتب اليه عمران

اسد على وفي الحروب نعامه ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قبلك في جناحي طائر
صدعت غزاة قابه بفوارس تركت مدايرد كأمس الدابر

ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار احد نى لبث بن بكر صاحب
خراسان وهو يعد في اصحاب الولايات وفي الحروب وفي التدبير والعقل
وشدة الرأى . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابة الخطيب العلامة . ومنهم
الققعاع بن سور ومنهم عجلان بن سحبان الباهلى وسحبان هذا هو
سحبان وائل وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ومن قد نافر اليه الاشراف اعشى
همدان وهو عبدالرحمن بن عبدالله بينه وبين همدان ثلاثة عشر ابا وكان
الاعشى ناعرا فصيحاً وهو زوج اخت الشعبي الفقيه والشعبي زوج اخيه
وكان ممن خرج على الحجاج وحاربه مرات فظفر به وانى به اليه اسيرا
فقال له الحجاج الحمد لله الذى امكننى منك أأست القائل كذا أأست
القائل كذا وذكر له ابياتا كان فد فالحها في هجو الحجاج وتحريض الناس
على قتاله ثم قال له أأست القائل

واصابنى قوم وكنت اصبهم فاليوم اصبر للزمان واعرف
واذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة تتكشف

اما والله لتكونن نكبة لاتكشف غيابتها عنك ابدا يا حرسى اضربا
عنقه فضربت عنقه . وكان قد اسر مرة في بلاد الديلم ثم ان بنتا للعلاج
الذى اسره احبته وصارت اليه ليلا ومكنته من نفسها فاصبح وقد واقعها

ثمان مرات فقالت له اتهم معشر المسلمين هكذا تعملون بساءكم فقال
نعم فقالت بهذا العمل نصرتهم ثم قالت أفرأيت ان خلصتكم تصطفيني
لنفسك فقال نعم وعاهدها فلما كان الليل حلت قيوده واخذت به طريقا
تعرفها وهربت معه فقال في ذلك شاعر من اسراء المسلمين .

فمن كان يفديه من الاسر ماله فحمدان تفدها العداة ابورها

ومن اشعراء الخطاء عمران بن عصام العرفي وهو الذي اسار على
عبد الملك بنحج اخيه عبدالعزى والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته
المشهورة وقصيده المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل
الحجاج له قال وبلاه لم قتله هلا رعى له قوله في

وبعثت من ولد الاغر معتب صفرا يلوذ حمامه بالعروج
فاذا طبحت بناره الضججها واذا طبحت بغيرها لم تنضج
وهو الهزير اذا اراد فريسة لم يجها منه صاح الهجج

ومن خطباء الامصار و—مرأهم والمولدين مهم اشار الاعشى وهو
بشار بن برد وكنيته ابو معاذ كان من احد موالى بنى عقيل فان كان
مولى ام ظباء على ما يقول بنو سدوس وماذ كرد حماد مجرد فهو من
موالى بنى سدوس ويقال انه من اهل خراسان نازلا في بنى عقيل
وله مديح كثير في فرسان اهل خراسان ورحلاتهم وهو الذى يقول

انامن خراسان وبيتى فى الذرا ومن ولد المسعاه فرعى قد سبق
وانى لمن قوم خراسان دارهم كرام وفرعى مهم ناضر بسق

وكان شاعرا راجزا خطيبا صاحب متون ومزدوج وله رسائل
معروفة . وانشد عتبة بن رؤبة عتبة بن سلم رجرا يمتدحه فيه وبشار
حاضر فاطهر بشار استحسان الارجوزة فقال عتبة بن رؤبة هذا
طراز يا ابا معاذ لا تحسه فقال بشار أثلنى يقال هذا الكلام انا والله

ارجز منك ومن ابيك وجدك ثم غدا على عقبه بن سلم بارجوزته التي
اولها

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خير كيف كنت بعدى
وهى التي فيها يقول :

اسلم وحييت ابالملد لله ايامك في معد

وقها يقول

الحري يحيى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

وكان بشار يصوب رأى ابليس في تقديم انوار على الطين وفي ذلك
قد قال :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

واصموان الانصارى قصيدة طويلة يفتد فيها رأى بشار وبرد عليه
مذهبه في تقديم النار على الطين قد اوردها الجاحظ في « البيان والنيين »
وقد ذكر الشاعر اخوى بشار لامة فقال :

لعد ولدت ام الاكيمة اعرجا و آخر من مطوع القفا ناقص القصد

وكانوا ثلاثة اخوة مختلفى الآباء والام واحدة وقال صفوان الانصارى
في بشار واخويه ايضا يخاطب امهم

ولدت خلدا وذيحا في تشتمه وبعده خرز يشتم في العصد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا فاعرف بذلك عرق الخالد من ولد

والخلد ضرب من الجرذان يولد اعمى والذبيح ذكر الضباع وهو اعرج

والخرز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكاب في الصيد .

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى اخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر

في اعتذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لا بد للارض ان طابت وان خبت من ان تحيل اليها كل مغروس
وتربة الارض ان جادت وان قحطت فحملها ابدأ في اثر منغوس
وبطنها بفلز الارض ذو خبر بكل جوهرة في الارض مرموس
وكل آنية عمت مرافقها وكل متقد فيها وملبوس
وكل ماء ونها كالمليح مرفقة وكلها مضحك من قول ابليس

قوله بفلز الارض الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس
والآتاك وغير ذلك . قال الجاحظ والمطبوعون على الشعر من المولدين
ببشار العقيلي والسيد الحميري وابو العتاهية وابن ابى عينة قال وقد
ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسامنا الحاسر وخلف بن خليفة
وابان بن عبد الحميد الاحقى اولى بالطبع من هؤلاء وببشار اطعمهم كلهم .

وقد ذكروا في نسب ببشار انا ببشار بن برد بن يرجوخ بن ازد كرد
ابن نروستان بن بهمن بن دادا بن فيروز بن كردبه بن ماهفيدان بن
دادان بن بهمن بن ازد كرد بن حيس بن مهران بن خسروان بن اخشين
ابن شهرداد بن نبوذ بن ماخرنسيديا اتماذ بن نهريار بن بندار سيحان
ابن مكر بن ادريس بن يستان . ببشار هذا يعد من محضرمي شعراء
الدولتين الاموية والعباسية وهو بصرى المولد والمنشأ والوفاة ومات
بضرب المهدي له سياطات على تلفة لانكاره عليه انباء بلغته عنه
وذلك سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ من العمر نيفا وسبعين سنة .

ومن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان
الحسن كاثوم بن عمرو العتابي وكنيته ابو عمرو . وعلى الفاظه وحذوه
ومثاله في البديع بقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين
كنحو منصور الحمري ومسلم بن الوليد الانصاري واشباههما وكان العتابي
يحتذى حذو ببشار في البديع ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من ببشار
وابن هرمة . والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال :

انى امرؤ هدم الاقتار ماثرنى
ايام عمرو بن كلثوم يسوده
ارومة عطائى من مكارمها
نهي ظراف الغوانى عن مواصاتي
واجتاح ما بنت الايام من خطرى
حيا ربيعة والافناء من مضرى
كالقوس عطلها الراعى من الوتر
ما بفضأ العين من سبى ومن قصرى

وهذا البيت الاخير يدل على انه كان قصيرا .

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والطب والرسائل الطوال
والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة وال اخبار
المدونه سهل بن هارون بن راهيوني الكاتب صاحب كتاب عملة وعنزة
في معارضة كتاب كليله ودمنه وكتاب الاخوان وكتاب المسائل وكتاب
الخزومى والهذابة وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء - خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيبا - اصرا
وفصيحاً حامداً وجيد الرأى كنبه الادب وكان اول من ترجم كتب التجوم
والطب والكيما .

ومن الخطباء الشعراء عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فقد كان
مع كونه خطيباً زاوية ناسبا ساعرا ولما رجع عن قول المرحة الى قول
الشيعة قال :

واول ما انفارق غيرك
وقالوا مؤمن من آل جور
نفارق ما يقول المرجثونا
وليس المؤمنون بجأثرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال
وقد حرمت دماء المؤمنين

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فلان ابن الاعمش الزمه ابته يؤدبه
ويقومه فقال له يوما كيف ترى ابن اخيك قال الزمتنى رجلا ان غبت
عنه عتب وان آيته حجب وان عاتبته غضب . ثم لزم عمر بن عبدالعزيز
وكان ذا منزلة منه قالوا وله يقول جرير لما غبر على باب عمر بن عبدالعزيز
ولم يصل اليه

يا ايها الرجل المرخي عمامة هذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلق خليفتنا ان كنت لاقيه انى لدى الباب كالمشدود فى قرن
وقد رآك وفود الخافقين معا ومذوليت امور الناس لم ترنى

ومن جمعوا الخطابة والشعر ابراهيم بن السقدي قال الحاحظ واما
ابراهيم فانه كان رجلا لانظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان
نحويا عروضا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا وكان فخم الالفاظ
شريف المعانى وكان كاتب القلم كاتب العمل وكان تتكلم بكلام رؤبة ويعمل
فى الخراج يعمل زاذان فروح الاعور وكان مجما طيبا وكان من
رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة ورجال الدعوة وكان احفظ الناس لما سمع
واقلمهم نوما واصبرهم على السهر .

ومن الخطباء الشعراء عبدالله بن سبرمة بن طفيل بن هيرة بن المنذر
وكان فصيا عالما فاضيا وكان راويه شاعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر
الجواب مفوها وكان لاجتماع هذه الخصال فيه بتشبه بعامر الشحى وكان
يكفى اباسبرمة وفيه قال يحيى بن نوفل :

لما سألت الناس اين المكرمة والعز والجرثومة المقدمة

وابن فاروق الامور المحكمة نتابع الناس على ابن سبرمة

وابن سبرمة هو الذى يقول فى ابى ليلى

وكيف ترجى لفصل القضاء ولم تصب الحكم فى نفسك

قتزعم انك لابن الجلاح وهيات دعواك من اصلكا

ومن الخطباء الشعراء ابوالاسود الدثلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل
ابن سفيان كان خطيبا عالما وهو معدود فى التابعين والفقهاء والشعراء
والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والبهاة والنحويين وهو
واضع علم النحو وكان من اكثر الناس تعلقا بعلى كرم الله وجهه وعنه
اخذ علم النحو كما هو مشهور اما من حيث الشعر فقد كان من نصراء الشعنة

لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل اكثر امثاله وكان معاوية لا يعتمد اذاه ولكنه كان يضايقه فلم يرو له طعن في نيامة واكثر نعرة في الحكم والادب وله من قصيدة

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالتقوم اعداء له وخصومه
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبفضا انه لدميم

ولاريب ان الذين جمعوا الخطابة والشعر اكثر ممن ذكرنا وليس من غرضنا استقصاؤهم وانما ذكرنا من ذكرنا منهم على سبيل المثال وحسبنا هذا المهمل .

المبحث الثاني عشر

فما يعرض للخطيب من الرتج والحصر

قد تعرض للخطيب اثناء الخطبة حالة يستعصى معها عليه الكلام فيقف ساكنا لا يدري ماذا يقول ويسمى ذلك بالحصر وبالرتج يقال حصر الخطيب في خطبه حصر اذا عي ولم يقدر على النطق ويقال رتج رتجا اذا استغلق عليه الكلام ويقال ايضا ارتج عليه وارتج واسترج بصيغة المجهول اي استغلق عليه الكلام كأنه اطبق عليه . واكثر ما يكون ذلك في اول الخطبة وهو دليل على ان مركب الخطابة صعب لا يذلل الا لمن اوتى مع ذلاقة اللسان جراءة الجنان . غير ان عروض مثل ذلك للخطيب لا يزرى به ولا يحط من قدره وقد عرض الحصر لكثير من الخطباء المصاقع ولم يتعيبهم احد به لانه عرض زائل والمعيب انما هو الى والحصر الدائم .

فمن اصابه الحصر في الخطبة عثمان رضى الله عنه وذلك انه صعد المنبر فارتح عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا واتم الى

امام عادل احوج منكم الى امام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها
وتعلمون ان شاء الله تعالى . ونحو هذا الكلام اعتذر ايضا ثابت بن
قطنة الشاعر المشهور . وذلك ان يزيد بن المهلب ولاء عملا في خراسان
قلما سعد المنبر رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال سيجعل الله بعد عسر
يسرا او بعد عي بيانا واتم الى امير فمال احوج منكم الى امير قوال
وان لم اكن فيكم خطيبا فاني بسيفي اذا جدالو عي لخطيب

ومن خطب فارتج عليه في اثناء الخطبة عبدالله بن الحسن وذلك ان
يوسف بن عمر لما بعث برأس زيد بن علي بن الحسين مع سبة بن عقال
وكاف آل ابي طالب ان يبرؤا من زيد وبقوم الخطباء بذلك قام عبدالله
ابن الحسن فاوجز في كلامه ثم حبس فقام بعده عبدالله بن معاوية بن
عبدالله بن جعفر فاطب في كلامه وكان شاعرا بينا وخطيبا اسنا فاصرف
الناس وهم يقولون ابن الطيار اخطب الناس قليل لعبدالله بن الحسن
في ذلك فقال لوستت ان اقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فاعجب
الناس ذلك منه

وقال ابو الحسن سعد عدى بن اربعة المنبر فلما رأى جماعة الناس
حصر فقال الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم . وسعد روح بن حاتم المنبر
فلما رأى الناس قد شنفوا ابصارهم وفتحوا اسماعهم نحوه قال نكسوا
رؤسكم وغضوا ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله ففتح
قفل تيسر . وقال ابو الحسن ايضا خطب مصعب بن حيان اخو مقاتل
ابن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله فقالت
ام الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وخطب عبدالله بن عامر
على منبر البصرة فحصر وشق ذلك عليه فقال له زياد يسليه ايها الامير
انك ان اقمت عامة من ترى اصابه اكثر مما اصابك . وقيل لرجل من
الوجوه قم فاصعد المنبر وتكلم فبمات لما صعد حصر وقال الحمد لله الذي

هؤلاء وبقي ساكتا فانزلوه وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه
وجود الناس وقعت عينه على صاعه رجل فقال اللهم المن هذه الصاعه
وقيل لوازع اليشكري قم فاصعد المنبر وتكلم فلما صعد ورأى جمع
الناس حصر فقال لولا ان امرأتى لعننا الله حملتنى على اتيان الجمعة
اليوم ما جمعت وانا اشهدكم انها منى طالق نلانا . وفي ذلك قال الشاعر

وماضرتنى ان لا اقوم بخطبة وما رغبتى فى ذا الذى قال وازع

قلنا ان ما يعرض للخطيب من الرنج والحصر غير معيب لانه عارض
بزول وربما اصيب به الخطيب المصنف ولانه غير ناشئ عن عجز عن
الكلام ولا عن ضعف فى القدرة على البيان وانما المعيب هو العجز والحطل
بان يخطئ نهج الصواب فى كلامه ولا يكشف الفساح عن وجه مرامه
ويأتى بالكلام التافه والعبارة الزائدة من غير فائدة قال الهيثم خطب
قيصة وهو حليمة ابيه على خراسان وقد اتاه كتابه فقال هذا كتاب
الامير وهو والله اهل لان اطيعه وهو ابى واكبر منى . فاذا نظرت الى
هذا الكلام وما فيه من الرفاعة هانت عندك مصيبة الخطيب بما يعرض له
من الحصر فى خطبته فالحصر غير معيب وانما المعيب ان يتكلم كلاما يكون
السكوت اعلى قدرا منه ككلام قيصة هذا . ومن هذا القيل ماد كروه
عن عتاب بن ورفاء قالوا انه خطب يوما فقال فى خطبته هذا كما قال الله
تبارك وتعالى انما يتفاضل الناس باعمالهم وكل ما هو آت قريب فقالوا له
ان هذا ليس من كتاب الله قال ما ظننت الا انه من كتاب الله .

وخطب عدى بن زياد الايادى فقال اقول كما قال العبد الصالح
ما اريكم الامارى وما اهدىكم الاسيل الرشاد فقالوا له ليس هذا من
قول العبد الصالح انما هو قول فرعون قال من قاله فقد احسن . وخطب
والى اليمامة فقال ان الله لا يقار عباده على المعاصى وقد اهلك الله امة
عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم . فسمى مقوم ناقة الله .

وخطب وكيع بن ابى سود بخراسان فقال ان الله خلق السموات
والارض في ستة اسهر فقبل له انها ستة ايام قال وايبك لقد قلها وانى
لاستقلها . وصعد المنبر يوما فقال ان ربيعة لم تزل عذابا على الله منذ بعثت
نبيه من مضر ألاوان ربيعة قوم كشف [*] فاذا رأيتوهم فاطعنوا - أيل
في مناخرها فان فرسا لم يطع في منحرد الاكن اسد على فارسه من
عدوه . فالحصر حير من هذا وما سهره .

المبحث الثالث عشر

ف

اللحن ومن وقع لهم اللحن من البلاء الابناء

اللحن هو الخطأ في الاعراب والبناء كرفع المنسوب ونصب المرفوع
وقتح المكسور وكسر المفتوح . وقد يطلق اللحن ويراد به مخالفة نهج
العصوب في الكلام بوجه من الوجود كتقصير ماحمه المد ومد ماحمه
التقصير والاسما في القرآن وقد قال الميساني في هجاء اهل المدينة

ولحنكم بتقصير ومد والام من بدب على العنار

قال الجاحظ وقال يوسف بن خالد التيمي عمرو بن عبيد ما تقول
في دجاجة دبخت من قفائها فقال له عمرو احسن فقال من قفائها قال
احسن قال من قفائها قال له من عناك هذا قل من قفائها واسترح .
قال وسمعت من يوسف بن خالد يقول لاحق يشجه بكسر الشين يريد
حتى يشجه بضم الشين . وكان يوسف يقول هذا احمر من هذا يريد هذا
اتد حمرة من هذا . قال وكان هشيم يقول حدثنا يونس عن الحسن
[*] قوله قوم كشف الكشف بضمين الذين لا يصدقون العتال ولا يعرف له

واحد .

يقولها (اى كلمة يونس) بفتح الياء وكسر النون . وكان عبد الاعلى السامى يقول فاخذ فصرعه فذبحه فاكله بكسر هذا اجمع .

فهذا كله يعد لنا وان لم يكن من الخطأ فى الاعراب . واللحن بكلام المعين معيب فى الخطابة ومحل باءادبها وكذلك قال عبد الملك بن مروان اللحن هجئة على الشريف والعيب آفة الرأى . وكان يقال اللحن فى المنطق اقبح من آثار الجدرى فى الوجه وقال ابو الطيب اللغوى ان اول ما اختل من كلام العرب واحوج الى التعلم الاعراب لان اللحن ظهر فى كلام الموالى والمنعريين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد روينا ان رجلا لحن بحضرتة فقال ارادوا اخاكم فقد ضل . وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لان اقرا فاسنط احب الى من ان اقرا فالحن . وقد كان اللحن معروفا بل قد روينا من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتا من قريش ونشئت فى نبي سعد فانى لى اللحن . وكتب كتيب لابي موسى الا سمرى الى عمر فلحن فكتب اليه عمر ان اضرب كاتبك سوطا واحدا . وقد علمت ان الاعراب حلبة الخطابة وزيتها كما جاء فى قول ابن جرير الذى ذكرناه لك سابقا فى مبحث (قوام الخطابة وادبها) فاذا وقع اللحن فيها سقطت حلبتها وذهبت زيتها بل قد يكون الكلام اذا وقع فيه اللحن ناقصا غير مفزوم والمعنى كما ذكرنا ان اعرابيا سمع رجلا يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا . وذلك انه لما جاء بخبر ان منصوبا فهم الاعرابى ان رسول الله صفة او بدل فنبت ان بلا خبر وبقى الكلام ناقصا فقال (يفعل ماذا) يسأله عن ابر . وقد قلنا بما سبق ايضا ان مصيبة الخطيب الرادل اى الذى يأتى بالفاضه مرذولة غير متحيرة اعظم من مصيبة الخطيب الا لحن لان اللحن منها كان معيا فهو معتذر وقد وقع لكثير من الخطباء والعلماء الايناء قال الجاحظ ومن اللحنين البلاء خالد بن عبدالله القسرى وخالد بن صفوان الاهتمى وعيسى بن المدور . وفى خالد بن عبدالله هذا يقول يحيى بن نوفل

والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب

وزعم المدائني ان خالد بن عبدالله قال ان كنتم رجبيون فانا رمضانيون قال الجاحظ ولولا ان تلك العجائب قد صحت على الوليد ما جتوزت هذا على خالد . والوليد هذا هو الوليد بن عبد الملك وكان لسانا قال بكر ابن عبدالعزيز الدمشقي سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولي الخلافة وهو يقول اذا حدثتكم فكذبتم فاطاعة لي عليكم وادا وعدتكم فاخلصتكم فلا طاعة لي عليكم وادا اعربتكم فحجرتكم فلا طاعة لي عليكم . قال فبقول مثل هذا الكلام تم بقول لايه يا امير المؤمنين اقل ابى فديك وقال مرة اخرى يا اعلام ردا لفرسان الصادان عن الميدان . قال وقال عبد الملك اضرب بالوليد حينئذ له فلم يوجهه الى البادية . قال وحن الوليد على المنبر فقال الكروس لا والله ان رأته على هذه الاعواد قط فامكنني ان املأ عني منه من كبره في عيني وجلالته فاذا لحن هذا اللحن الماحش صار عندي كبعض اعوانه .

ومن الايجانين البقاء ابو معمر قال الجاحظ حدثنا عثام ابو يحيى عن الاعمش عن عمار بن عمير قال كان ابو معمر يحدنا بلحن . ومهم عبيد الله بن زياد قال ابو الحسن اوفد زياد ابنه عبيد الله الى معاوية فكتب اليه معاوية ان ابلت كما وصفت ولكن قوم من اسانه وكانت في عبيد الله لكنة لانه كان نشأ بالاساوره مع امه مرجانة وكان زياد تزوجها من سيرويد الاسواري وقال عبيد الله مرة افتحوا سيوفكم يربد سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مبرغ .

ويوم فتحت سيفك من بعيد اضعت وكل امرئ للضياع

ولما كره سويد بن منجوف في الههات بن ثور قال له يا ابن البظراء فقال له سويد كذبت على نساء بني سدوس قال اجلس على است الارض قال سويد ما كنت احسب ان للارض استا . فقول عبيد الله افتحوا

سيوفكم واجلس على امت الارض لحن لكن لا من جهة الاعراب بل من جهة كونه مخالفا لتهج الصواب في الكلام . وممن وقع لهم اللحن بشر بن مروان حيث قال مرة وعنده عمر بن عبدالعزيز لغلام له ادعى صالحا فقال الغلام يا صالحا فقال له بنى القى منها الف قال له عمرو انت قزد في الفك الفا . وقيل لابي حنيفة ما تقول في رجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيد به قال لا ولو ضرب رأسه بابا قيس . وروى ابو الحسن ان الحجاج كان يقرأ انا من المجرمين المنتقمون وقد زعم رؤية ابن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج وغامد الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله ص والقرآن والحرف الآخر وما تنزلت به الشياطين وقال ابو الحسن كان سابق الاعمى يقول الحائق الباري المصور فكان ابن جابان اذا لقيه قال يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه . قالوا واول لحن سماع بالبادية هذه عصاتي واول لحن سماع بالعراق حى على الفلاح . ودخل ابو الفضل بن عيانش على كافور الاخشيدى وعنده البحرى الشاعر المشهور فقال له ادام الله ايام سيدنا (بالخفض) ولحن فقال البحرى مرتجلا .

لاغرو ان لحن الداعى لسيدنا	وغص من هية بالريق والبهير
مثل سيدنا حالت مهابته	بين البليغ وبين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام من دهش	من سدة الحوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا	والفقال مأثرة عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب	وان دولته صفو بلا كدر

ورب فائل بقول ليس من الحق ان يكون الاجس معيبا على الخطيب لان مدار الامر على الافهام فهو الغاية المقصودة من الكلام فالخطيب اذا افهم السامعين حاجته ولو بالكلام الملحون فاجدر به ان يعد في عداد مصاقع الخطباء ولاضير عليه من اللحن وأى ضرر في مخالفة الاعراب

اونهج الصواب بعد ان يكون الافهام حاصلًا وقد قال العتابي حين سئل عن البلاغة كل من افهمك حاجته فهو بليغ .

والجواب ان مدار الامر ليس على الافهام مطلقا بل على الافهام على مجرى كلام الصحاح ولو كان مدار الامر على الافهام وحده لاتفص بالبلاغة كل احد حتى العجماوات فانا نفهم محجمة الفرس كثيرا من حاجانه كما نفهم من هؤلاء الحرس الذين يكلمونا بالاساره كل ما زادوا من المعاني وليس هم من البلاغة في شيء واليك ما قاله الحافظ في دحض هذه الحجة وتفنيدها هذا الرأي حيث قال والعتابي حين زعم ان كل من افهمك حاجته فهو بليغ لم يعن ان كل من افهمنا من معاصر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه انه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد ان نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطي الذي قيل له لم استريت هذا لان قال اركها وتلدلي وقد علمنا ان معناه كان صحيحا وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لاهل مجلسه ما من سر من دين وانه قال حين قيل له ولم ذلك يا ايا فلان قال من جرى تتعلمون وما تشك انه قد ذهب مذهبا وانه كما قال معنى قول ابي الجهمير الحراساني النخاس حين قال له الحجاج انا نبيع الدواب المعية من جند السلطان قال نريكاننا في هوازها وتريكاننا في مداينها وكما تجي تكون قال الحجاج ما نقول ويملك فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار نفهم مثل ذلك نقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن بيعون اينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها وقالت لحادم لي في أي صناعة اسلموا هذا الغلام قال اصحاب سند نعال بربد في اصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دونه اكتب لي قل حطني وربحني منه . فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمغرب كله سواء وكله بيانا وكيف يكون

ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفساد من الكلام لما عرفه ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذي فينا واهل هذه اللغة وارباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء باكمالهم كما لا يعرفون رطانة الروم والصقاب . وان كان هذا الاسم انما يستحقونه باننا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم . بحماسة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء السنور كثيرا من اراداته وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع وانما عني العتاني افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام القصحاء . واصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا

« مكره اخاك لا بطل » و « اذا عن اخاك فهن »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت الى ابو زيد ورأيت ابى عمرو ومتى وجد النحويون اعرابيا يفهم هذا وانسابه بهرجوه ولم يسمعوا منه لان ذلك بدل على طول اقامته في الدار التي نفسد اللغة وتنقص البيان لان تلك اللغة انما انقادات واستوت واطردت وتكاملت بالحصول التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وقد روى اصحابنا ان رجلا من البلديين قال لاعرابي كيف اهلك قالها بكسر اللام فقال صلبا لانه اجابه على فهمه ولم يعلم انه اراد المسئلة عن اهله وعياله . وحكى الكسائي انه قال لغلام بالبادية من خلقت وجزم القاف فلم يدر ما قال ولم يجبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقت . وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول نعم في الجواب قال نعم وثناء لان لغته نعم وقيل لعمر بن لجاه قل انا من المجرمون منتقمين فقال انا من المجرمين منتقمون . انتهى وقال الجاحظ في موضع آخر من كتابه ثم اعلم ان اقبح اللحن لحن اصحاب التقير والتقيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم واقبح من ذلك لحن الاعراب النازلين على طرق السابلة ويقرب مجامع الاسواق قال واللحن من الجوارى الظراف ومن الكواعب التواهد ومن الشوارب الملاح ومن ذوات الحدور الغرائر ايسر وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف .

المبحث الرابع عشر

ف

تخيير اللفظ

قال ابوداود بن جرير « رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الاعراب وبراؤها تخيير اللفظ » فيفهم من هذا ان بهاء الخطبة مقرون بتخير الفاظها وانتقاء كلماتها فان الخطيب اذا تخير الالفاظ في خطبته وانها في كلامه جاءت خطبته من البهاء والرواء بما يستفز السامعين وبتملك اسماعهم وبمختيار قلوبهم بخلاف ما اذا رمى الكلام على عواهنه وحذ بالفاظ مرذولة وكلمات مبذولة فان خطبته تكون حينئذ خلوا من البهاء فتستسهجها النفوس ولا تستناد لها الاسماع وان كانت معانيها شريفة وذلك لان المعنى الشريف اذا اقترن باللفظ السخيف سقط شرفه وعاد مسهوجا فسخافه اللفظ تمحو شرف المعنى ولا عكس اى ان سخافة المعنى لا تمحو شرف اللفظ فان المعنى السخيف اذا اكتسى لفظا شريفا غطي شرف اللفظ على سخافته وشفع له فيها ولذلك قلنا فيما سبق ان مصيبة الخطيب الرادل اعظم من مصيبة الخطيب اللاحن . غير ان مسألة تخيير الالفاظ تختلف باختلاف المقامات التي يقوم فيها الخطيب فاعليه اذن الا ان يراعى مقتضى المقام في تخيير الفاظه وتنقيح كلامه فينبغي له ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مناسما فان كان الخطيب متكلما مثلا تجتنب الفاظ المتكلمين في مصطلحاتهم الكلامية كما ان ان عبر عن شئ من صناعة الكلام واصفا او مجييا او سائلا كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين وان لا يخاطب

الخاصة بالفاظ العامة ولا العامة بالفاظ الخاصة . واليات ما قاله الجاحظ في هذا الباب قد بره .

قال وكما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سو قيا فكذلك لا ينبغي ان يكون غربيا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوق رطانة السوق . قال وكلام اناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والمليح والسميج والحفيف والتفيل وكله عربي وبكل قد نكلوا وبكل قد تماردوا وتعابوا فان زعيم زاعم ان لم يكن في كلامهم تضائل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا الى والبكى والحصر والمنجم والحد والمسبب والمتشردق والمتشويق والمهماز والزنار والمكندر والهماز ولم ذكروا الهجر واليذر والنديان والتخليط وولوا رجل ناقة ونلهاعه و فلان بنلهيع في خطبه وقالوا فلان ينطى في جوابه ويحمل في كلامه وبناقض في خبره ولو ان هذه الامور لم تكن في بعضهم دون بعض لما سمي البعض دون البعض الآخر بهذه الاسماء وانا اقول ان ليس في الارض كلام هو امتع ولا انفع ولا آثق ولا ألد في الاسماع ولا اشد اتصالا بالاعتوال السايمة ولا اقق للسان ولا اجود نقوتا لبيان من طول استماع حديث الاعراب البصحاء العقلاء والعلماء البلغاء وقد اصاب العموم في عامة ما وصفوا الا انى ازعم ان سخيف الالفاظ مشاكل اسخيف المعانى وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفاخم كما ان النادرة الباردة جدا قد تكون اطيب من النادرة الحارة جدا وانما الكرب الذى يحتم على القلوب ويأخذ بالانفاس ، النادرة العائرة التى لاهى حارة ولاهى باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الشأن فى الحارة جدا والبارد جدا . وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول والله لاملان اقل من مغنّ وسط وابغض من ظريف وسط ومتى سمعت حنظلك الله بنادرة

من كلام الاعراب فايك وان تحكبا الامع اعرابها ومخارج الفاظها فانك ان غيرتها بان نلحن في اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اداسمت بنادرة من نوادر العوام وملحة من مباح الحشوة والطعام فايك وان تستعمل فيها الاعراب او ان تخير لها لفظا حسنا او نجعل لها من فبت مخرجا سرّيا فان ذلك بفسد الامتاع بها ومخرجها من صورها ومن الذي اريدت له ويذهب استطابهم اياها واستملاحهم لها انهي ما اردنا نقله من كلام الجاحظ وقد تبين لك منه ان لكل مقام مثلا وانا اذا قلنا بوجوب نخير اللفظ . فلما نريد ان الخطيب يجب عليه ان يأتي بالكلام الجزل مطلقا بل يجب عليه ان يراعي المقام فنخير له من الالفاظ ما يلائمه وينطبق عليه ورب مقام يكون فيه السخيف جزلا والجزل سخيفا كما هو ظاهر من كلام الجاحظ اد لاشاء ان العاية التي يرمى اليها الخطيب انما هي اصابته الهدف ونخاضه الى حبات القلوب والعرب اذا مدحوا خطيبا قالوا اصاب الهدف اي اصاب الحق في الجملة . وتقولون قرطس فلان واصاب القرطاس اذا كان اجود اصابه من الاول . فان قالوا رمي فاصاب الغرّة واصاب عين القرطاس فهو الذي ليس فوقه احد ومن ذلك قولهم فلان يقل المحز ويعطى المنعمل ويضع الهناء مواضع الثقب .

المبحث الخامس عشر

في

صعوبة موقف الخطيب

كل خطيب ذوبيان . وليس كل ذي بيان خطيبا فقد يكون المرء اذا تكلم اعجب الناس بفصاحته وجودة بيانه وبراعة منطقته وهو مع

ذلك لا يستطيع ان يقف موقف الخطيب وكذلك كان ثابت بن
عبدالله بن الزبير قال الجاحظ « كان ثابت بن عبدالله بن الزبير من
ابن الناس ولم يكن خطيبا » والذين هم مثل ثابت بن عبدالله
كثيرون في كل عصر ومصر وهذا دليل على ان مركب الخطابة
صعب لا يذل الا لمن اوفى مع فصاحة اللسان جراءة الجنان ومع
براعة المنطق رباطة الجأش ولهذا السبب كان الخطباء اقل من الشعراء
في كل زمان ومكان مع ان كلتا صناعتهما تشربان من ماء واحد وليس
بينهما فرق كبير وناهيك بما يعرض للخطباء المصاعق احيانا من الرجز
والحصر اثناء الخطبة دليلا على صعوبة موقف الخطيب ولعمري ما صدق
العذرة التي اعذر بها روح بن حاتم حين صعد المنبر فلما رأى الناس
قد دفعوا رؤسهم وسننفوا اليه حصر فقال نكسوا رؤسكم وعضوا
ابصاركم فان المنبر مركب صعب واذا يسر الله فتح قفل تيسر . وقد ذكرنا فيما
سبق ان من معاييب الخطيب ان يسترضه البحر والارتعاش والرعدة والعرق
كما قد يقع لبعض الخطباء احيانا وفي ذلك دليل ايضا على صعوبة موقف
الخطيب . قال ابوالحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صصعة عند معاوية
فعرق قال معاوية بهرك القول فقال صصعة ان الجياد نضاحة بالماء .
وقال الجاحظ قال الكميث بن زيد وكان خطيبا « ان للخطبة صعدا
وهي على ذي اللب ارمى » وقولهم ارمى واربي سواء يقال فلان قد
ارمى على المائة واربي .

قال الجاحظ وانما يجترى على الخطبة الغمرا الجاهل الماضي الذي
لا يثنيه شئ او المطبوع الحاذق الواثق بغزواته واقتداره فالثقة تنفي عن
قابه كل خاطر يورث اللجاجة والنحنحة والانقطاع والبحر والعرق .
فترى ان الجاحظ في كلامه هذا تدجى على الخطبة احد اثنين
اولهما الغمرا الجاهل فهو لجهله بما للخطبة من الصعدا لا يثنيه عنها

شيء ولا يبالي ان يخرج منها محمودا او مذموما وتأتيهما المطبوع الحاذق
الواثق باقتداره فهو لثقة باقتداره لا يتهيب الوقوف في موقفها الحرج
وعليه فالقدم على الخطبة لا يخلو عن احدى هاتين المرتبتين .

وقال عبدالله بن زياد وكان خطيبا على لكنة كانت فيه ثم الشيء
الامارة لولا قعقة البرد والتشدد للخطب . وقيل لعبد الملك بن
مروان مجل عليك الشيب يا امير المؤمنين قال وكيف لا يعجل على وانا
اعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة او مرتين يعني خطبة الجمعة
وبعض ما يعرض من الامور : والله درمن قال

وانا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام نقوله مختالا
واعلم بان من السكوت ابانة ومن التكلم ما يكون خبالا

المبحث السادس عشر

ف

ذكر بعض الخطباء

ولبدأ منهم بذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
فتقول كان الخلفاء الراشدون خطباء قال ابو الحسن كان ابو بكر خطيبا
وكان عمر خطيبا وكان عثمان خطيبا وكان علي خطيباً .

فاما ابو بكر رضي الله عنه فهو عتيق بن عثمان يكنى ابا قحافة بن عامر بن
عمرو وهو اول الخلفاء وكان اسمه قبل الاسلام عبد رب الكعبة فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله وقال له صلى الله عليه وسلم انت عتيق
من النار فكان يدعى عتيقا وقيل سمي عتيقا لجماله وكان يملك يوم اسلم
اربعين الف درهم انفقها كلها في سبيل الله ولما تولى الخلافة اصبح
غاديا الى السوق وعلى رقبته اثواب يتجر بها فلقبه عمر وابوعبيدة فقالا

ابن تيريد قال السوق فالأما تصع وقد آتيت امر المسلمين قال فمن ابن
اطم عيالي قال ففرضوا له كل يوم سطر شاة وماكساة في الرأس والبطن
وكان ابوبكر يحاب لا حتى اغنامهم فلما بويع قالت جارية من الحى الآن
لا يحلب لنا فقال بلى لأحابتها لكم وارجو ان لا يغيرنى ما دخلت فيه
عن خالق كنت فيه . ولما ولى خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد أيها الناس قد وئيت امركم ولست بخير منكم وان اقواكم عندي
الضعيف حتى آخذله بحقه وان اضعنكم عندي القوي حتى آخذ منه
أيها الناس أما انا متبع واست بمبتدع فان احسنت فاعينوني وان زغت
فقوموني . وهو الخليفة الذي ولى الخلافة وابوء حتى ومات ابوء ابو
قحافة بعد موته بسنة وقيل سبعة اشهر . ولما اعتر ابوبكر الصديق
رضي الله عنه في خلافته في رجب سنة اثنى عشر دخل مكة ضحوة فأتى
منزله وبوء ابوقحافة جالس على باب داره فقبل له هذا ابك فهض فأثما
وعجل ابوبكر ان ينيخ راحلته فنزل عنها وهي فأثمة فجعل ابوبكر يقول
يا ابت لا تقم ثم الزمه فقبل ابوبكر بين عيني ابيه فاخذ الشيخ يبكي
فرحا بقدمه وجاء ممن سمع بقدمه ممن هنك من الصحابة مثل عتاب
ابن اسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام
فسلموا عليه سلام عليك يا خليفة رسول الله فجعل ابوبكر عند مسمع
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي وابكي القوم وتجدد عليه الحزن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوقحافة يا عتيق هؤلاء الملاء
فاحسن صحبتهم فقال ابوبكر يا ابت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
لقد طوقني الله امرا عظيما لا قوة لي به ولا يد الا بالله ثم دخل فاغتسل
وخرج وتبعه اصحابه فتحامهم ولقيه الناس يعزونه برسول الله وهو يبكي
حتى انتهى الى البيت فاضطجع واستلم وطاف سبعا وركع ركعتين ثم رجع
الى منزله فلما كانت صلاة الظهر خرج فطاف بالبيت ثم جلس قريبا

من دار الندوة فقال هل من احد يشتكى من ظلامه او يطالب حقا فما انا
احد وانى الناس على واليهم خيرا ثم صلى العصر وجلس فردفه الناس
ثم خرج راجعا الى المدينة .

وكان ابوبكر خطيبا ونسابة قال ابن العربي في المسامرات وروينا
من حديث عمرو بن بحر الجاحظ قال حدثنا سنان بن الحسن التستري
عن اسماعيل بن مهران العسكري عن ابي ابي بن عثمان عن عكرمة عن ابن
عباس عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يمرض نفسه نلى القبائل خرج وانا معه وابوبكر وكان
ابوبكر عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عابهم الوفار
والسكينة فنقدم ابوبكر فلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن انتوم
فقالوا من ربيعة قال أمن همامتها ام من لهازمنا قالوا بل من همامتها
العظمى قال واى همامتها قالوا دهل قال اذهل الاكبر ام اذهل الاصغر
قالوا بل الاكبر قال أمنكم عوف الذى كان يقال لاجر بوادى عوف
قالوا لا قال أمنكم بسطام بن قيس صاحب الاواء ومنهى الاخيلاء قالوا
لا قال أمنكم جساس بن مرة حامي الدمار ومايع الجار قالوا لا قال
أمنكم المزدلف صاحب الغمام قالوا لا قال نجيب اخوال الملوك من
كندة قالوا لا قال أفانم اصهبان الملوك من تخم قالوا لا قال فلسنم من
ذهل الاكبر اذ انهم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابي غلام حين
يقبل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على
ناقته يسمع مخاطبته فقال لنا على من سألتنا ان نسأله واليهي لا تعرفه
او تحمله يا هذا انك سألتنا أى مسألة شئت فام نكتمك فاخبرنا من
انت قال ابوبكر من قريش قال بنخ بنخ اهل الترف والرياسة فاخبرني
من أى قريش انت قال من تيم بن مرة قال أمنكم قهبي بن كلاب
الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له جمعا قال ابوبكر لا قال
فمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو الذي هتم الثريد لقومه ورحال مكة مستنون عجايف
قال ابوبكر لا قال أفنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في
الليلة الظلماء الداجية مطعم الطير قال لا قال أفن المفيضين بالبأس انت
قال لا قال أفن اهل الرقادة انت قال لا قال أفن اهل السقاية انت قال لا
قال أفن اهل الحجابة انت قال لا قال اما والله لو سأئت لاخبرتك انك
لست من اشراف قريش فاجتذب ابوبكر زمام ناقته منه كهيئة المنضب
فقال الاعرابي

صادف درالسييل درا يدفعه يرفه طوراً وطوراً يضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على فقلت يا ابابكر لقد
وقعت من هذا الاعرابي على باقعة قال اجل يا ابالحسن مامن طامة
الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق انتهى . قال الجاحظ في كتاب
البيان ومن اصحاب الاخبار والنسب ابوبكر الصديق رضى الله عنه ثم
جبير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ثم قيادة
وعبدالله بن عبيدالله بن عتبة المسعودي . قال ومرّ رجل بابي بكر ومعه
ثوب فقال أتبيع الثوب فقال لا عافاك الله فقال ابوبكر لقد علمتم لو
كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله وقال ابراهيم الانصارى (هو ابراهيم
ابن محمد المفلوج من ولد ابي زيد القارى) الحلفاء والائمة وامراء
المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماما قال ولذلك فصل
بينهم ابوبكر رضى الله عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك
قال فرفع الناس رؤسهم كالمعجيين فقال ابوبكر مالكم ايها الناس انكم
لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهد الله فيما عنده ورغبه
فما في يديه غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد
على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباه لا يستعمل

العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسبي والسراب الخادع جذل
الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه وانصب عمره وضحي ظله حاسبه
الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان المعقراء هم المرحومون وخير الملوك
من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم
على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدى ملكا عضوضا وملكا
عنودا وامة شعاعا ودما مفاحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة
يعفوها الاثر ويموت لها البئر فآتموا المساجد واستشروا القرآن و
الزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعه وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة
بعد طول التناظر أى بلادكم خرسه ان الله سيفتح عليكم اقصاها كمافتح
عليكم ادناها

واما عمر رضى الله عنه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل وكنيته ابو حفص
واشتهر عمر بالعدل وهو الذى حدث ابنه عبدالرحمن فى الشراب فمات
وكان عمر لا تأخذه فى الحق لومة لائم وكان اذا رأى من انكر منه شياً عامله
بالشدة وربما علاه بالدره وهى السوط فانه كان لأنفاره الدره . وحج
حرة فدخل على نافع بن الحارث يعود فوجده قريب عهد بعرس وفى
بيته ستر من ادم مزين بسيور فاخذه عمر فشقه وقال لم لا تسترون
بيوتكم بهذه المسوح فهى اوفى وألين واحمل للغبار . ثم مرّ عمر بابى
سفيان بن حرب فرأى احجارا قد بناها ابوسفيان كالديكان فى وجه داره
يجلس عليها بالفداء فقال عمر لا ارجعن من وجهى هذا حتى تقامه و
ترقيه فلما رجع عمر وجده على حاله فقال ألم اقل لك اقله قال انتظرت
ان يأتينا بعض اهل مهننا فقال عزمت عليك لتنامه بيدك وتنقله على
عائقك فلم يراجعه وفعل ذلك فقال عمر الحمد لله الذى اعز الاسلام
برجل من عدى يأمر اباسنيان سيد بنى عبد مناف بمكة فيطبعه . وكان
عمر حريصا على صيانة امور الرعية كثير العاطفة على المعقراء يتفقد هم

ويتعاهدهم ويباشر امورهم بنفسه وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال
خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت يا امير المؤمنين
هلك زوجي وترك صبية صفارا والله ما يرضجون كراعا ولا لهم زرع
ولا ضرع وخشيت عليهم الطمع فانا ابنة خناف بن اثم الهاري وقد
شهد ابي الحديبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر
ولم يمض وقال مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير كان مربوطا
الى الدار فحمل عليه غرازين ملاءهما طاما وجعل بينهما نفقة وثيابا
ثم ناولها خطاما . وقال اقاده فلن يعنى هذا حتى يأتيكم الله بخير .
وخرج مرة في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل
بيتا آخر فلما اصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقبدة
فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك وانت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا
يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة . كلك امك يا طلحة
لعثرات عمر تتبع . وذكر الجاحظ عن العاشي انه قال كن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اعلم الناس بالشعر قال ولكنه لما ابلى بالحكم بين النجاشي
والمجلائي وبين الحطيئة والزيبر فان كره ان يتعرض للشراء واستشيد
رجالا للزبرقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم فاذا سمع
كلامهم حكم بما يعلم وكن الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر منعا للزبرقين
وبكون هو قد شاعر بعرضه . ابما فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا
ظن ان ذلك لجهله بما يعرف غيره . قال ولما انشدوه شعرا زهير وكان
عمر اشعره مقبدا وقد قال فيه اشـ رالعرب الذي يقول ومن ومنه
يعني زهيرا فلما انهموا من انشادهم الى قوله

وان الحق مقطعه ثلاث يمين اونفار او جلاء

قال عمر كالتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته اقسامها

وان الحق مقطعه ثلاث يمين اونفار او جلاء

يردد البيت من التعجب والاستحسان . واشدود قصيدة عبدة بن الطيب
الطويلة التي على اللام فلما بلغ المشد الى قوله

والمرء ساع لامر ليس يدركه والعيش -حج وانفاق وتأمل

قال عمر متحجبا « والعيش -حج وانفاق وتأمل » يعجبهم من
حسن ما قسم ونصل . واشدود قصيدة ابى قيس بن الاسات التي
على العين وهو ساكت فلما انتهى المشد الى قوله

الكيس والقوة خير من الانفاق والنفية والهاع

باعاد عمر البيت وقال

الكيس والقوة خير من الانفاق والنفية والهاع

وجعل عمر برددا بيت استحسانا وتعجب منه . وقال محمد بن سلام
الجمحي عن بعض اسياده كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له امر الا
انشد فيه بيت -عمر . ولما رفع اليه ان الحطايئة آذى الناس بهجائه
استحضره وابته واوممه انه يقطع لسانه فقال له الحطايئة بالله يا امير المؤمنين
الا ما اقلتني فخذ هجوت والله امي وابي وامرأتي ونفسي فقال له عمر
مالذي قلت في امك قال قلت فيها والجواب الاب

واند رأيتك في النساء فسؤني أما ابوي فسأني في المجاس

وقالت فيها ايضا

تتحي فاجاسي مني بعيدا اراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المنحدثينا

ثم قالت في امرأتي

اطوف ما اطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحتته فقات

ابت شفتاي اليوم الا تكلما بشر فما ادري لمن انا قائمه
ادى لى وجهها قببح الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
فاصر به عمر فسجن فكتب اليه بعد ايام يقول

ماذا تقول لافراخ بذى مرح حمرالحواصل لا ماء ولا شجر
البيت كاسهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه القت اليك مقاليد النبى البشر
ما آتروك بها اذ قدموك لها لابل لانفسهم قد كانت الاثر

فاصر به فاحضر فاستتوبه وخلقى سبيله

ومما هو جدبر بان يؤثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسالته الى
ابى موسى الاشعري وهى رسالة بديعة فى بابها تتضمن سياسة القضاء وتدير
الحكم فال الجاحظ روى هذه الرسالة ابن عينة وابوبكر الهذلى ومسلمة
ابن محارب رووها عن قتادة ورواها ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن
عبيد الله بن حميد الهذلى عن ابى المايح بن اسامة ان ابن الخطاب رضى الله
عنه كتب الى ابى موسى الاشعري :

بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة
فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفذ بحق لانفاذله . آس بين الناس فى
مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخيف ضعيف
من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من انكر والصالح جائز
بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او احل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته
بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق
قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم . الفهم عند
ما يتلجلج فى صدرك مما لم يباغك فى كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه
وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها
الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبا او بينة امدا

ينهى اليه - قوله حقا . مفعول المدعى . وقوله امدا مفعول اجعل - فان احضر بينته اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك انقى للشك واجلى للعلمى وابلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الامجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظينا في ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك الفلق والخجر والتأذى بالاس والنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر وبحسن بها الذخر فانه من بخاص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك . وابدع من هذه الرسالة وصيته التي اوصى بها الخليفة من بعده وهي امرى مما يجدر ان يكتب بلذهب الابرز وقد اوردها الجاحظ في « البيان والتبيين » .

واما عثمان رضى الله عنه فهو ابن عفان بن ابى العاص بن امية وكان عنده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما سقط منه في البئر اخذ خانما من فضة نقش عليه لتصبرن اولتندمن وكان عثمان كثيرا للتلاوة للقرآن وكان يقول انى لا كره ان ياتى على يوم لا انظر فيه الى عهد الله يعنى المصحف وكان عثمان حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ف قيل له في ذلك فقال انه مبارك جاء به مبارك وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمان خرج بتوكأ على مروان وهو يقول لك امة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة عيابون طعانون يظهرون لكم ماتحجون ويسرون ما تكرهون طغام مثل النعام يتبعون اول ناعق لقد نقموا على ما نقموه على عمر ولكن قمهم ووقهم والله انى لا قرب ناصرا واعز نفرا فضل فضل من مالى فالى لا فعل فيه ما شاء . وقتل عثمان في فتنه كانت ام الفتن الاسلامية وهو ابن سبع وثمانين سنة ورتاء عثمان بن ثابت بقوله

نحوتوا باسمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحا وقرآنا
لنسه من وشيكا في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

واما على رضى الله عنه فهو ابن ابى طالب بن عبدالمطلب وهو اقربهم نسبا
برسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عاملا وهو ممن اشهر في القضاء كما اشهر
زيد بن ثابت في الفرائض وابن عباس في تفسير القرآن فكان كرم الله
وجهه اقضى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وهو ايضا اخطب
الحلفاء الراشدين وخطبه اشهر من ان نذكر وهي مجموعة في كتاب نهج
البلاغة . وقيل لعلى بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه كم بين السماء والارض
قال دعوة مستجابة فنالواكم بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس
ومن قال غير هذا فقد كذب . وسئل ابن عباس عن الحلفاء الراشدين
فوصفهم وذلك ان عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس اخبرني عن
ابى بكر قال كان خيرا كله على الحمد وسدة الغضب قال قلت اخبرني
عن عمر قال كان كاطائر الحذر قد علم انه قد نصب له في كل وجه حباله
وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق قال قلت اخبرني عن عثمان
قال كان والله صواما قواما لم يشدعه نوم . عن نفضته قال قلت فصاحبكم
— يعنى عيا — قال كان والله يملأ حلما وعلمنا غرته سابقته وقرابته
وكان يرى انه لا يطاب سياً الا قدر عليه قلت اتم ترونه محدودا قال
انتم تقولون ذلك .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشى قال وكان
الفضل من اخطب الناس وكان متكلماً وكان فاضلاً مجيداً وكان يجلس
اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن ابى عياش وكثير من
الفقهاء وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون وخطب اليه ابنته سودة بنت
الفضل سليمان بن طرخان التيمي فولدت له المعتز بن سليمان وكان
سليمان مابينا للفضل في المقالة فلما ماتت سودة شهد الجنازة المعتز وابوه

فقدما الفضل وكان الفضل لا يركب الا الحمير فقال له عيسى بن حاضر
انك لو توتر الحمير على جميع الركوب فلم ذلك قال لما فيها من المرافق و
المنافع قال قات مثل أى شئ قال لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف
الزمان ثم هي اقلها داء وايسرها دواء واسام صريما واكثر تصرفا
واسهل مرتقى واخفض مهوى واقل جحاحا وانهر فارها واقل نظيرا
يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدًا وقد اسرف في ثمنه .
قال وانظر بوما الى حمار قراء نحت - الم بن قبيبة فقال قده نى وبذلة
جبار قال عيسى بن حاضر ذاب الى حمار عزيز والى حمار مسبخ الدجال
والى حمار باهم . وكذا بقول لواراد ابو سيار عمارة بن اعزلة ان يدفع
بالموسم على فرس عربي او جعل مهري الفحل ولكنه ركع عيرا
اربعين عاما لانه كان يتاله وقد ضرب به الملى فمالوا اصبح من غير سيار .
والفضل هذا هو الذى يقول فى قصصه - ل الارض فنال من - تنق
انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم يجلب حوارا احببتك اعتبارا
وكن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرافى خطيبا ايضا غير ان عبد الصمد
كان اغزر من ابيه واعجب واهن واخطب . قال وحدثني ابو جندب الصوفى
الخاص قال تكلم عبد الصمد فى خاق البوضة وفى جميع سائها بلابه
مجالس تامة وكان عبد الصمد يؤثر السجع فى كلامه فقل له لم تؤثر السجع
على المنثور ونلزم نفسك القوافى واوامة الورن قال ان كلامى لو كنت
لا أمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلا فى عليك ولكنى ارد العائب
والحاضر والراهن والغابر فالحنظ اليه اسرع والآذان اسماعه انشط
وهو احق بالنقيد وبقلة التفات وما تكلمت به العرب من جيد المنثور
اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشرة ولا
خضاع من الموزون عشرة قالوا فقد قيل للذى قال يا رسول الله ارايت من
لا شرب ولا اكل ولا صاح فاستهل اليس مثل ذلك بطل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الجاهلية فقال عبد الصمد لو ان هذا

المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى ان يكون اراد ابطالا لحق فتشادق في كلامه . وكان عم الفضل وهو يزيد ابن ابان الرقاشي خطيبا ايضا وكان يزيد بتكلم في مجلس الحسن وكان زاهدا عابدا وعالما فاضلا وكان خطيبا وفاصلا مجيدا . قال الجاحظ وتمنى قوم عند يزيد بن ابان الرقاشي فقال انى كما تمنيتم قالوا تمنه قال ليتنا لم نحقق وليتنا اذ خلقنا لم نصص وليتنا اذ عصينا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد . قال الجاحظ وكان ابوهم خطيبا ايضا وكذلك جدهم قال وكانوا خطباء الاكسرة فلما سبوا وولد لهم الاولاد في بلاد الاسلام وفي جزيرة العرب ترعهم ذلك العرق فقاموا في اهل هذه اللغة كقيامهم في اهل تلك اللغة وفيهم شعر وخطب وما زالوا كذلك حتى اصهر اليهم الغرباء ففسد ذلك العرق ودخله الخور . فالفضل وابنه وعمه وابوه وجدده كلهم خطباء .

ومن الخطباء زيد بن على بن الحسين وهو من خطباء بنى هاشم وسأله هشام مرة عما جرى بينه وبين خالد بن عبدالله فقال له زيد احب لك قال واذا حلفت اصدقك فقال زيد اتق الله قال أو مالك يا زيد يأمر منى بتقوى الله فقال زيد لا احد فوق ان يوصى بتقوى الله ولا دون ان يوصى بتقوى الله قال هشام بلغنى انك تريد الخلافة ولا نصاح لها لانك ابن امة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن امة واسحاق عليه السلام ابن حرّة فاخرج الله عن وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم فعندها قال له هشام قم قال اذا لانراى الا حيث تكبره وبما خرج من الدار قال ما احب احد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى هشام لا يسمع من هذا الكلام منك احد . وقال محمد بن عمير ان زيدا لما رأى الارض قد طبقت جورا ورأى قبة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة احب المنبات اليه وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرّده الخوف وازرى به كذاك من يكره حراجلاد
منخرق الحفين يشدو الوجي تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

وقد نال ما احب من الشهادة اذ قتله يوسف بن عمر احد عمال
هشام وبعث اليه برأسه مع شبة بن عقال . وقال الفيظري قيل لعبدالله
ابن الحسن ما تقول في المرء قال ماعسى ان اقول في شئ يفسد الصداقة
القديمة ويحتل العقدة الوثيقة وان كان لاقل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة
والمغالبة من امتن اسباب الفتنة . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه
السائب بن صيفي فقال أتعرفني يا رسول الله قال كيف لا اعرف شريكى
الذى كان لا يشاربنى ولا يمارينى . قال فتحولت الى زيد بن علي فقلت
له الصمت خير ام الكلام فقال اخزى الله المساكنة فما افسدها لليان
واجلبها للحصر والله للممسارة اسرع في هدم العي من النار في يبس
العرفج ومن السيل في الحدور . قال الجاحظ وقد عرف زيد ان الممازاة
مذمومة ولكنه قال الممازاة على ما فيها اقل ضررا من المساكنة التي
تورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللا وتولد ادواء ايسرها
العي فالى هذا المعنى ذهب زيد .

ومن الخطباء سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن امية وكان
سعيد جوادا ولم ينزع قيصه قط وكان اسود نحيفا وكان يقال له عكة
العسل وفيه يقول الخطيئة

سعيد فلا يغرك قلة لحمه تخدد عنه اللحم وهو صليب

وكان اول من خش الابل في نفس عظم الانف وكان واليا في الكوفة
وكان في تديره اضطراب وكانت الامراء تتحجب الى الرعية بزيادة المنكايل
اما هو ففقمها ولم يزد فيها . وفي ذلك يقول بعض رجاز الكوفة

ياويلتا قد ذهب الوليد وجاءنا مجوعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

وكان ابنه من الخطباء ايضا وهو عمرو بن سعيد وكان يسمى الاشدق
يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه في الكلام وقال آخرون بل كان افقم
مائلا الذقن ولذلك قال له عبيد بن زياد حين اهوى بيده الى عبدالله بن
معاوية (يدك عنه يا لعليم الشيطان ويا عاصي الرحمن) وهذا خلاف ما يدل
عليه قول الشاعر فيه

تشادق حتى مال بالتمول شدقه وكل خطيب لا ابالك اشدق

وكان معاوية قد دعا به مرة في غلطة من قريش فلما استنطقه قال ان
اول كل مركب صعب وان مع اليوم غدا . وقال له معاوية الى من اوصى
بك ابوك قال ان ابى قداوصى الى ولم يوصى بي قال وبأى تى اوصاك
قال بان لا يعقد اخوانه منه الا نخسه فقال معاوية عند ذلك ان ابن
سعيد هذا هو الاشدق . فهذا ايضا يدل على انه انما سمي الاشدق لمكان
التشادق . ثم كان بعد عمرو بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد خطيبا
ايضا كابيه وجدده وكان ناسبا ايضا وكان اعظم الناس كبرا وقيل له عند
الموت ان المريض ليسترخ الى الانين والى ان يمض ما به الى الطيب
فقال

اجاليد من ريب المنون فلا ترى على هالك عينا لنا الدهر تدمع

ودخل على عبدالملك مع خطباء قريش واشرافهم فتكلموا من قيام
وتكلم وهو جالس فبسم عبدالملك وقال لقد رجوت عثرته ولقد
احسن حتى خفت عثرته . فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب
ابن خطيب .

ومن الخطباء سهيل بن عمرو الاعلم احدي حسل بن معيص وكان

يكنى ابا يزيد وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام وكان قبل
اسلامه يخطب ضد النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قال
لنبي يارسول الله اتزع ثنيتيه السقلين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك
خطيبا ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل فيمثل الله بي
وان كنت نبيا دعه يا عمر فعسى ان يقوم منامنا نحمده . ثم انه اسلم فلما
هاج اهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام خطيبا فقال ابا الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يموت وقد
علمتم اني اكثركم قنبا في بر وجارية في بحر فاقرؤا اميركم وانا ضامن ان لم
يتم الامر ان اردتها عليكم . فسكن الناس . ووقف مرة على باب عمر بن الخطاب
هو وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وجماعة من غيرهم فخرج الآذن
فقال ابن بلال ابن صهيب ابن سليمان ابن عمار ولم يذكر غير هؤلاء
فتمعرت وجود القوم فقال سهيل لم تتمعروا وجوهكم دعوا ودعينا فاسرعوا
وابطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر .
ومن الخطباء من خزاعة بن مازن ابو عمرو وابو سفيان ابنا العلاء
ابن عمار بن العريان فاما ابو عمرو فكان اعلم الناس بامور العرب مع صحة
سماع وصدق لسان . قال الجاحظ وحدثني الاصمعي قال جاست الى ابي
عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج بيت اسلامي قال وقال مرة لقد كثرت
هذا المحدث وحسن حتى هممت ان امر قتيانا بروايته يعني - عمر جرير
والفرزدق واشباههما . قال الجاحظ وحدثني ابو عبيدة قال كان ابو عمرو
اعلم الناس بالعرب والعربية وبالفراسة والشعر وايام الناس قال وكانت
كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من
السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن
عنده الا ما حفظه بقلبه وكان عامة اخباره عن اعراب قد ادركوا الجاهلية
وفي ابي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

مازلت افتح ابوابا واغلقها حتى آتيت ابا عمرو بن عمار

قال الجاحظ فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب اخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذي لا يشك في خطابته وبلاغته وقد قال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس وفي ابي عمرو بن العلاء يقول مكى بن سواده

الجامع العلم تنساء ويحفظه والصادق القول ان انداده كذبوا وكذلك اخوه ابو سفيان بن العلاء كان ناسبا خطيبا وكلاهما كناه اسماءهما .

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومي من قريش وهو ذو الشفة قال الشاعر

فما كان قائلهم دغفل ولا الحيقطان ولا ذو الشفة

واجتمع يوما بجحدب التميمي وهو خطيب ايضا فقال له والله ما انت من حنظلة الا كرمين ولا سعد الا كثيرين ولا عمرو الاسدين وما في تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحدب والله انك لمن قريش وما انت من بيتها ولا ثبوتها ولا من شوارها وخلاقها ولا من اهل سداتها وسفاتها .

واما دغفل المذكور في قول الشاعر المتقدم فهو دغفل بن يزيد ابن حنظلة الخطيب الناسب واما الحيقطان فهو عبد اسود وكان خطيبا لا يجارى . وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومي من اخطب الناس قال انا قال ثم من قال سيد جزام يعنى روح بن زنباع قال ثم من قال اخيفش ثقيف يعنى الحجاج قال ثم من قال امير المؤمنين قال ويحك جعلتني رابع اربعة قال نعم هو ماسمعت . وذكر الجاحظ دغفلا وقال لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا قال ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمري من بني هلال وقال سماك العكلى

فسائل دغفلا واخا هلال ونخارا ينبؤك اليقينا

فاخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال حى من التمر بن قاسط .
ومن الخطباء عبيدالله بن زياد بن ظبيان التيمى العائشى وكان ابوه
زياد خطيباً ايضاً ودخل عبيدالله على ابيه وهو يكيد بنفسه فقال له ابوه
ألا اوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الاوصية الميت
فالحى هو الميت . واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فنظمه فقال

اذا ما الحى عاش بظلم ميت فذاك الميت حى وهو ميت

وكان عبيدالله افتك الناس واخطب الناس وهو الذى اتى باب ملك
ابن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره وقد كان نابه امر فلم يرسل اليه
قبل الناس فاشرف عليه ملك وقال مهلا يا ابا مطر فوالله ان فى كنانتى
سهما اثابه اوثق منى بك قال وانك لتعدتنى فى كنانتك فوالله لو ان قمت
فيها لظننها ولو قعدت فيها لخرقنها فقال ملك مهلا اكثر الله فى العشرة
مثلك قال لقد سألت الله شظطا .

ودخل عبيدالله على عبدالمملك بن مروان بعد ان اتاه برأس مصعب
ابن الزبير ومعه ناس من وجود بكر بن وائل فاراد ان يقعد معه على
سريره فقال له عبدالمملك ما بال الناس يزعمون انك لاتشبه اباك قال والله
لانا اشبهه بابى من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن ان
شئت انبأتك بمن لايشبه اباك قال ومن ذاك قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه
الارحام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال ومن ذاك قال ابن عمى سويد
ابن منجوف قال عبدالمملك أو كذلك انت ياسويد قال نعم فلما
خرجا من عنده اقبل عليه سويد فقال وريت بك زنادى
والله مايسرنى انك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وان لى حمرا نتم قال
وانا والله مايسرنى بمملك اليوم عنى سودا نتم . قلت لله در عبيدالله كيف
قدر ان يرد على عبدالمملك قوله فى وجهه مواربة من حيث لم يدعه يشعر

بذلك ولله درسويد حيث علم ما اراد عيدالله فصدقه . وقال اشيم بن شقيق
ابن ثور لعيدالله بن زياد بن ظبيان مانت قائل لربك وقد حملت رأس
مصعب بن الزبير الى عبدالملك بن مروان قال اسكت فانت يوم القيامة
اخطب من صعصة بن صوحان .

ومن الخطباء الذين لا يظاهون ولا يجارون عبدالله بن عباس قالوا
خطبنا بمكة وثمان رضى الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم
لاسلمتا وذكره حسان بن ثابت فقال

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا
كفى وتفى ما فى النفوس ولم يدع لذي اربعة فى القول جدا ولا هزلا
سموت الى اعليا بغير مشقة فملت ذراها لادنيا ولاوعلا

قال الحسن كان عبدالله بن عباس اول من عرف بالبصرة سعد المنبر
فقرأ البقرة وآل عمران ففسرها حرا فاحرقا وكان والله متجاسيل غربا
وكان يسمى البحر وحبر قریش وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم فقته
فى الدين وعلمه التأويل . ونظر اليه عمر وهو يتكلم فقال شنشنة
اعرفها من اخزم اراد عمر رضى الله عنه انى اعرف فيك مشابهة لايك
فى رأبه وعقله . ويقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس ويقال ايضا انه
لم يربنو اب ابعد قبورا من بنيه عبدالله بن عباس بالطائف والضل بالشام
وعيدالله بالمدينة وقم بسمرقند وسعد بافريقية .

ومن خطباء بنى هاشم ايضا داود بن على وكان يكنى ابا سليمان وكان
انطق الناس واجودهم ارتجالا واقتضا بالقول ويقال انه لم يتقدم فى
تخير خطبة قط قال الجاحظ وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك
خطبه على اهل مكة (شكرا شكرا اما والله ما خرجنا لتحتفر
فيكم نهرا ولا نبني فيكم قصرا اظن عدو الله ان لم نظفر به ان ارخى له
فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الامر فى نصابه وطلعت

الشمس من مطلعها واخذ القوس باريها وعاد النبل الى التزعة ورجع الامر الى مستقره في اهل بيت نبيكم اهل بيت الرأفة والرحمة) قات وفي كلامه هذا القليل تكرار كثير كما ترى .

ومن خطباء بني هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر والى مكة قال المكي سمعت مشايخنا من اهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم امير منذ عقلوا الكلام الا وسليمان ابن منه قاعدوا وخطب منه قائما . ومن الخطباء خالد بن صفوان الاهتمى وكذلك ابوه صفوان بن عبد الله ابن الاهتم كان خطيبا رئيسا . قال الجاحظ زعموا جميعا ان ابي خالد بن صفوان كان عند ابي العباس امير المؤمنين وكان من سماره واهل المنزلة عنده ففخر عليه ناس من باحارث بن كعب واكثروا في القول فقال ابو العباس لم لا تتكلم يا خالد فقال اخوال امير المؤمنين وعصبته قال فانهم اعمام امير المؤمنين وعصبته قال خالد وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد دل عليهم هدهد وغرقهم فأرة وملكهم امرأة . قال الجاحظ فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام فانه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ولئن كن هذا نسياً حضره حين حرك وبسط فماله نظير في الدنيا قال فتأمل هذا الكلام فانك ستجد ما يحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليماني بلسان سحبان وائل حولا كريتاً ثم صلت بهذه الفقرة ما قامت له قائمة . قال وكان خالد اذ كر الناس لأول كلامه واحفظهم اكل شئ سلف من منطقته وقال مكى بن سواده في صفته له

علمم بتزليل الكلام ملقن ذكور لما سدا اول اول
يبذ قريع الفوم في كل محفل وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عاين اجدلا

وكان خالد يقارض شيب بن شيبه لاجتماعهما على القرابة والمجاورة

والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية. قال الجاحظ وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون في هذه الصناعة وهو يدل على ان خالدا يحسن ان يسب سب الاشراف وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل يا اباصفوان قال وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ما عمود الجمال فقال الطول واست بطويل ورداؤه الياض ولست بابيض وبرنسه سواد الشعر وانا اشمط ولكن قولى انك للميح ظريف قال الجاحظ وللكلام خالد كتاب يدور في ايدي الوراقين .

ومن الخطباء حنظلة بن ضرار وهو من خطباء بني ضبة وقد ادرك الاسلام وطال عمره حتى ادرك يوم الجمل وقيل له ما بقى منك قال اذكر القديم وانسى الحديث وارق بالليل وانام وسط القوم . ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم مشجور بن غيلان بن خرشة وكان مقدما في المنطق وهو الذي كتب الى الحجاج انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى ان اخذ قال ارى ان تأخذ الذهب فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد . وذكروه القلاخ بن حزن المقرئ فقال

امثال مشجور قليل ومثله ففى الصدق ان صفقته كل مصفق
وما كنت اشربه بدنيا عريضة ولا بابن خال بين غرب ومشرق
اذا قال بذ القائلين مقالاه ويأخذ من ا كفاؤه بالخلق

ومن خطباء الحوارج قطرى بن الفجاءة احد بني كنانة بن حرقوص وكنيته ابو نعامة في الحرب واما في السلم فكنيته ابو محمد . وقد ذكر الجاحظ غيره ممن كانت لهم كنيستان في الحرب والسلم منهم عامر ابن الطفيل كانت كنيته في الحرب ابا عقيل ويكنى في السلم بابي على . ومنهم يزيد بن مزيد يكنى في السلم بابي خالد وفي الحرب بابي الزبير . وهو اعنى قطرى بن الفجاءة احد رؤساء الازارقة وكان خطيبا فارسا خرج

في زمن مصعب بن الزبير وبقى عشرين سنة وكان آخر من بعث اليه
سفيان بن الابر الكلبى وقتله سورة بن الجبر الدارمى من بنى ابان بن
دارم وله خطبة طويلة مشهورة سند كرها في الخطب .

ومن خطباء الخوارج ابن صديقة وهو القاسم بن عبدالرحمن بن صديقة
وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل ومن علماء
الخوارج شميل بن غرزة الضبى صاحب الغريب وكان راوية خطيبا
وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا .

ومن علماء الخوارج وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس احد بنى
عمرو بن محلم بن ذهل بن شيان ويكنى ابا سعيد وقد ملك العراق وسار
في خمسين الفا وبايعه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن هاشم بن
عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم

ألم تر ان الله اظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل .

ومن خطبائهم وعلمائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك وآلاد الصلاة
بالناس والقضاء بينهم . ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم
واهل الفقه منهم عمران بن حطان ويكنى اباشهاب وقد ذكرناه فيما سبق
في الخطباء الشعراء . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم المقطل قاضى
عسكر الازارقة ايام قطرى .

ومن الخطباء معبد بن طوق العنبرى دخل على بعض الامراء فتكلم
وهو قائم فاحسن فلما جلس تلهيع في كلامه فقال له ما اطرفك قائما
واموقك فاعدا قال انى اذا قت جددت واذا قعدت هزلت فقال له
ما احسن ما خرجت منها .

ومن خطباء العرب المشهورين الذين يضرب بهم المثل في الفصاحة
والبيان سحبان وائل وله خطبة مشهورة تسمى الشوهاة وقيل ذلك لها
من حسنها فان الشوهاة كما تطلق على القبيحة تطلق على الجميلة ايضا فهي

من الاضداد في اللغة . وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر .
ولم يخطب خطيب . قال الجاحظ والعرب قد ذكروا من خطب العرب
المعجوز وهي خطبة لآل رقة ومتى تكلموا فلا بد لهم منها او من بعضها
والمذراء وهي خطبة قيس بن خارجة لانه كان ابا عذرها والشوهاء
وهي خطبة سحبان وائل .

ومن خطباء العرب ابو عمار الطائي كان خطيب مذحج كلها فبلغ
النعمان حسن حديثه فجماله على منادته وكان النعمان احمر العينين احمر
الجلد احمر الشعر وكان شديد العريضة قتالا للندماء . فهاء ابو قردودة
الطائي عن منادته فلما قتله رثاه فقال

انى نهيت ابن عمار وقلت له لا تأمن احمر العينين والشره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم تظن ببارك من نيرانهم شره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا ومنطقا مثل وتى التينة الحبره

ومن خطباء غطفان في الجاهلية خويلد بن عمرو العثراء بن جابر بن عتيق
ابن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة . وهو خطيب يوم المعراج المشهور
من ايام العرب .

ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي وكان يخطب على العرب عامة
ويحضر كنانة خاصة على البر فله مات اكبروا موته فلم تزل كنانة
تؤرح بموت كعب بن لؤي الى عام الفيل

ومن الخطباء مرة بن فهم التليد من خطباء عمان وهو الخطيب الذي
اوقده المهلب الى الحجاج . ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن
شقي الحميري وكان اخطب العرب . ومنهم ثم من الانصار قيس بن الشماس .
ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس وهو خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن خطباء الانصار سعد بن الربيع وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لها من انت فقالت ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع .

ومن الخطباء الأبناء العلماء الذين جروا من الخطابة على اعراق قديمة شيب بن شيب بن عبدالله بن عبدالله بن الاهتم ويقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو في اول تكلفه لتلك المقامات كان مستقلا مستصفا ايام رياضته كلها الى ان بتوقع وتستجيب له المعاني ويتمكن من الالفاظ الا شيب ابن شيب فانه ابتداء بحلاوة ورشاقة وسهولة وعدوية فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما يبلغه الخطباء المصاحم بكثيره وقال الراجز .

اذا غدت سعد على شيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

قال الجاحظ وحدثني صالح بن خافان قال قال شيب بن شيب الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وانا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من جظ سائر اليت ثم قال شيب فان ابنيت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ في طلب السلامة من الحطل قبل التقدم في احكام البلوغ في شرف التجويد واياك ان تعدل بالسلامة شياً فان قليلا كافيا خير من كثير غير نافع . وقال شيب بن شيب اطاب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس . وقال شيب للمهدى يوما اراك الله في بريك ما اري اباك فيك واري الله بريك فيك ما اراك في اريك . وقال المهدى . كان شيب بن شيب يسايرني في طريق خراسان فيتقدمني بصدر دابته وقال لي يدعي لمن ساير خليفة ان يكون بالموضع الذي اذا اراد الخليفة ان يسأله عن شيء لا يلتفت اليه ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس قال فينا نحن كذلك اذا اتيننا الى مخاضة فاقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فلا شياي ماء وطينا قال فقات يا انا معمر ليس هذا في الكتاب .

ومن الخطباء المصاقع جعفر بن يحيى بن خالد قال ثمامة بن اشرس كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الهدو والتمهل والجزالة والحلاوة وافهما ما يغنيه عن الاعداء ولو كان في الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عنها كما استغنى عن الاعداء. وقال مرة ما رأيت احدا كان لا يتحسس ولا يتوقف ولا يتاجلج ولا يتحنج ولا يرتقب انظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخاص الى معنى قد تعصى عليه طلبه اشد اقدارا ولا اقل تكلمنا من جعفر بن يحيى . واشهر جعفر بحسن التوقيع . قال الجاحظ قال جعفر بن سعيد رضيع ايوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى فقال قد قرأت لام جعفر توقيعات في حواشي الكتب واسافلها فوجدتها اجود اختصارا واجمع للمعاني وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه ان استطعم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا .

ومن الخطباء ثمامة بن اشرس الذي وصف لنا جعفر بن يحيى المتقدم ذكره آنفا بما وصف . قال الجاحظ وهذه الصنات التي ذكرها ثمامة ابن اشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع اهل عصره قال وما علمت انه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف والامن سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان يله وكان لفته في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك . وقال بعض الكتاب معاني ثمامة الظاهرة في الفاظه الواضحة في مخارج كلامه كما وصف الحزيمي شعر نفسه في مديح ابي دافع حيث يقول

له كلم فيك معقولة ازاء القلوب كركب وقوف

ومن الخطباء زرعة بن ضمرة من بني هلال بن عامر وهو الذي

قيل له لولا غلوّ فيه ما كان كلامه الا الذهب . وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية يا اهل الشام هذا خلى فانونى بنحال مثله . وكان ابنه النعمان بن زرعة بن ضمرة من اخطب الناس وهو احد من كان تخاص من الحجاج من قتل ابن الاشعث بالكلام اللطيف .

ومن الخطباء الحجاج بن يوسف الثقفي وهو الذي ولي العراق عشرين سنة ومات في ايام الوليد بن عبدك بواسطة المدينة التي بناها هو في العراق وكانت وفاته في رمضان سنة خمس وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة . وقال ابن العربي في المسامرات ان عدد من قتلهم الحجاج صبرا مائة وعشرون الفا قال ومات في حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة . وكان الحجاج صغير العينين اخيفش مسلق الاجفان ولذلك قال ابن ارقم النميري وكان الحجاج جعله على بعض شرط ابان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يمن عليه ابوداود وابن ابى كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذرا الصقور

لان طير الماء لا يكون ابدا الامسلق الاجفان . قال ابو الحسن المدائني قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا بك ولا اهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتنة مرة مع ابى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لا قلعنك قلع الصمغة ولا عصبتك عصب السلمة ولا جردنك تجريد الضب . قال انس من يعنى الامير ابقاه الله قال اياك اعنى اصم الله صداك . قال فكتب انس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستغرمة بعجم الزبيب والله لقد هممت ان اركلك برجلي ركلة تهوى بها في نار جهنم قاتلك الله اخيفش العينين اصك الرجلين اسود الجاعرتين والسلام . وقوله اصك الرجلين تصك احداها الاخرى عند المشى

وقول الحجاج لانس لاعصبتك عصب السلمة معناه لاشدنّ يدك
ورجليك لان الرعاة تعصب اغصان الاشجار بعضها الى بعض وتخطبها
بالعصى حتى يسقط الورق فترعاه الماشية. قال ابو الحسن وغيره اراد الحجاج
الحج فخطب الناس فقال ايها الناس انى اريد الحج وقد استخلفت عليكم
ابن محمد هذا واوصيته بخلاف ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى ان يقبل من محسنهم
و يتجاوز عن مسيئهم ألا وانى قد اوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا
يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون مقالة ما يمنعكم من اظهارها الا
مخافتى ألا وانكم ستقولون بعدى لا احسن الله له الصحابة ألا وانى معجل
لكم الاجابة لا احسن الله الخلافة عليكم ثم نزل . وكان يقول فى خطبه
ايها الناس ان الكف عن محارم الله ايسر من الصبر على عذاب الله. وخطب
الحجاج يوما فقال ان الله امرنا بطاب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا
فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وامرنا بطاب الدنيا . فسمعها الحسن البصرى
فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قاب المناق . ولقى الحجاج اعرابيا
فقال له ما بيدك قال عصاى اركرها اصلا تى واعدتها لعدائى واسوق بها
دابى واقوى بها على سفرى واعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى
واثب بها على النهر وتؤمنى العثر والقى عليها كسائى فيقبنى الحر ويحبنى
القر وتدنى الى ما بعد عنى وهى محمل سفرتى وعلاقة اداوتى اقرع بها
الابواب والقى بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح فى الطعان وعن السيف
عند منازلة الاقران ورتتها عن ابى وساورها ابى من بعدى واهش بها
على غنى ولى فيها ما رب اخرى . فهت الحجاج وانصرف .

قال الهيثم بن عدى قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك
بعدهما استخلف وكان حاقدا على الحجاج يبغضه اشدا بغض قاصر الوفود
بشتم الحجاج فقاموا يهتمون به فقال بعضهم ان عدو الله الحجاج كان زبابا

قنور بن قنور لانسب له في العرب فقال سليمان أي ستم هذا ان عدو الله الحجاج كتب الي . انما انت نقطة من مداد فان رأيت في مارأي ابوك واخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج وانت النقطة فان شئت محوتك وان شئت اثبتك فالغزوه لعنه الله . فاقبل الناس ياعنونه فقام ابن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري فقال يا امير المؤمنين انا نخبرك عن عدو الله بعلم قال هات قال كان عدو الله يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراعنة واكذب في حديثه من الدجال فقال سليمان لرجاء بن حيوة هذا وايبك الشتم لا ما تأتي به السفلة وقوله زباب هو كسحاب فأر عظيم اصم تضرب العرب به المثل في السرقة فتقول اسرق من زبابة والفضور الشرس الصعب .

وخطب الوليد بن عبد الملك فقال ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة حلدة ما بين عيني ألا وانا جلدة وجهي كله . وقوله ان الحجاج ما بين عيني كناية عن انه عزيز مكرم عنده قال الشاعر

يديروني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والائف سالم

وخطب الوليد ايضا بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن ابي مسلم مكانه فقال انما مثلي ومثل يزيد بن ابي مسلم بعد الحجاج كن سقط منه درهم فاصاب ديناراً .

وقال ابو الحسن وغيره قالوا دخل يزيد بن ابي مسلم على سليمان ابن عبد الملك وكان يزيد دميا فلما رآه سايمان قال على رجل اجرتك رسنك وسلطك على المساميين لعنة الله فقال يا امير المؤمنين انك رأيتني والامر عنى مدبر ولورأيتني والامر على مقبل استعظمت من امرى ما استصغرت قال فقال سايمان أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد فقال يزيد يا امير المؤمنين يحبى الحجاج يوم القيامة بين ابيك واخيك فابضا على يمين ابيك وشمال اخيك فضمه من النار حيث شئت .

وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبدالرحمن بن الحارث قال مارأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا . وقال رؤية بن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج . وقال ابو الحسن قال الحجاج لمعلم ولده علم ولدى السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم . قال وضرب الحجاج اعناق اسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال والله لئن كنا اسأنا في الذنب فما احسنت في العفو فقال الحجاج آف لهذه الجيف أما كان فيها احد يحسن مثل هذا . وامسك عن القتل . قال ابو الحسن اول من اجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجأجى وكان اول من عمل المحامل ايضا الحجاج وفيه قال بعض الرجاز

اول عبد عمل المحاملا اخزاء ربي عاجلا وآجلا

ولمات الحجاج خرجت عجوز من داره وهي تقول

اليوم يرحنا من كان يغبنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

ومن الخطباء واصل بن عطاء وكنيته ابو حذيفة وهو الذي زعم ان جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلى ايضا فانشد

وما شرّ الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وكان واصل بن عطاء ذا لثغة في حرف الراء وكان قبيح اللثغة شنيعها ولا يستطيع النطق بها البتة ولكنه مع لثغته في حرف الراء كان من الفصاحة بالمكان الاعلى لانه كان ذا قدرة عظيمة على البيان بحيث

كان يتجنب الراء اذا خطب ويسقطها من كلامه اذا تكلم فجاءت خطبه خالية من شناعة تلك اللثة . قال الجاحظ ومن اجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام ابو حذيفة اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأني لسره والراحة من هجته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما امل حتى صار لغرابته مثالا ولظرافته معلما قال ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له قال ولست اعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت بحاجة الخصوم ومثاقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان . واجتمع بعض الخطباء مرة عند عبدالله بن عبدالعزيز والى العراق وهم خالد بن صفوان وشيب بن شيبه والفضل بن عيسى وكان واصل ابن عطاء معهم فخطبوا وارتجل هو خطبة نزع منها الراء فكانت مع ذلك اطول من خطبهم . وكان بشار بن برد كثير المدح لو اصل بن عطاء قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة وكان قد فضله على خالد ابن صفوان وشيب بن شيبه والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبدالله ابن عمر بن عبدالعزيز فقال

ابا حذيفة قد اوتيت معجبة من خطبة بدت من غير تقدير
وان قولاً يروق الخالدين معا لمسكت مخرس عن كل تحبير

وقال بشار ايضا

تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحرروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حثف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصحيف والاغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة ايضا

فهذا بديه لا كتعبير قائل اذا ما اراد القول زوده شهرا

وقال صفوان الانصاري في ذلك ايضا

فسائل بعبدالله في يوم حفله . وذاك مقام لايشاهده وغد
اقام شسيبا وابن صفوان قبله . بقول خطيب لايجانبه القصد
وقام ابن عيسى ثم قفاه واصل . فابدع قولاً ماله في الورى ند
فما نقصته الرء اذ كان قادرا . على تركها واللفظ مطرد سرد
ففضل عبدالله خطبة واصل . وضوعف في قسم الصلوات له الشكد
فاقنع كل القوم شكر حباثم . وقلل ذلك الضعف في عينه الزهد

والشكد هو العطاء . وبالجملة فقد كان واصل بن عطاء في تركه الرء في خطبه
ومخاورانه آية من آيات البلاغة ولما هجا بشار واصل وصوب رأى ابليس
في تقديم النار على الطين قال واصل عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى
المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من
سجاياء الغالية لبعثت اليه من يبيع بطنه على مضجعه ويقتله في جوف
منزله وفي يوم حفله ثم كان لايتولى ذلك الاعقيلى اوسدوسى » فانظر
كيف تجنب الرء في كلامه هذا مع ماترى من سلامته وقلة ظهور
التكلف فيه حتى انك لاتظن به التكلف مع امتناعه من حرف كثير
الدوران في الكلام ألا ترى انه حين لم يستطع ان يقول بشار وابن برد
قال المكتنى بابى معاذ وحين لم يستطع ان يقول المرعث جعل المشنف
يدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجاياء
الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الرء وقال لبعثت اليه من يبيع
بطنه ولم يقل لارسلت اليه من يبيع بطنه وقال على مضجعه ولم يقل فراشه .
وكان واصل اذا اراد ان يذكر البر قال القمح والحنطة والقمح لغة شامية
والحنطة لغة كوفية هذا وهو يعلم ان لغة من قال بر افصح من لغة من قال
قمح او حنطة قال قطرب انشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل

ويجعل البر قمحا في تصرفه . وجانب الرء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله . فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

قال وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد فكيف كان يصنع بعشرة وعشرين واربعين وكيف كان يصنع في القمر والبدر ويوم الإربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الاما قال صفوان:

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جتواب آفاق

وكان واصل طويل العنق جدا وكان يلقب بالغزال قال بشار :

مالى اشايح غزالا له عنق كتنقق البوان ولى وان مثلا

ومما يدل على انه كان غزالا قول اسحاق بن سويد العدوى

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
والكنى احب بكل قلبي واعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا به ارجو غدا حسن المآب

وقال قوم ان واصل بن عطاء لم يكن غزالا وانما قيل له الغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى ابى عبدالله مولى قطن الهلالي فقول الناس واصل الغزال هو كقولهم لخالد الفقيه خالد الحذاء مع انه لم يكن حذاء بل كان ايضا يكثر الجلوس في سوق الحذائين وكقولهم هشام الدستوانى لان الاباضية كانت تبعث اليه من صداقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحبياب فاجابوه الى قول الاباضية وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية وزوجوا هينا . وكما قالوا ابو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء وكما قالوا ابو ملك السدى لانه كان يبيع الخمر في سدة المسجد . فهذا هو احتجاج الذين زعموا ان واصل لم يكن غزالا ومهما كان فان واصل كان يلقب بالغزال سواء كان غزالا او لم يكن .

قد ذكرنا لك جملة من الخطباء الاولين ممن ذكرهم الجاحظ في كتاب

البيان ولكن لاعلى هذا الترتيب الذى رتبناه ولقد ضربنا صفحا عن ذكر كثيرين منهم اذ ليس من غرضنا استقصاء الخطباء هنا وانما اثبتنا منهم هذه الجملة ليكونوا نموذجا للقارىء وقدوة لمن حاول هذه الصنعة ونزع فى منطقته هذه النزعة ولتذكر الآن بعض من عرفنا من خطباء عصرنا نقول .
العرب اليوم اشبه ببني اسرائيل وهم فى التيه وشرح هذه القضية يطول سوى اننا نقول ان فساد اللسان وجور الزمان واختلال السليقة وضعف السجايا وخور العزائم واختلاف الالهواء لمن الاسباب التى انزلت العرب اليوم فى الدرك الاسفل من المحشر البشرى بعد ان صبغتهم بصبغة اعجمية وجعلتهم عباديد متفرقين شذر مذر . وان ثبأت ان تجمع هذه الاسباب كلها تحت سبب عام فقل الجهل الطويل العريض الضيق الوثيق الذى هو على حد قول الشاعر

وما انت ممن يجهل العام وحده بل الجهل ايضا بل وجهلك بالجهل

اذا كان الامر كذلك فلا عجب ان نجد خطباء العربية قليلين فى هذا العصر ومدودين بالاصابع لاننا اليوم فى زمان نشد فيه

اتى الزمان بنوه فى شبيته فسرهم واتيناهم على الهرم
فمن خطباء العصر الذين عرفناهم عبدالعزير التونسى وقد اجتمعت به فى قسطنطينية قبل بضع سنين فرأيت من ابين الناس وكنت معجبا بحسن بيانه جدا وهو يتكلم بالعربية الفصحى دون تلجاج ولا تلثم وقد اخبرونى عنه انه يخطب بالفرنساوية كما يخطب بالعربية .

ومنهم الشيخ عبدالعزيز شاويش العالم التحرير والكاتب الشهير صاحب مجلة الهداية وله كتب ورسائل مشهورة وله تفسير للقرآن بديع جدا وهو من زعماء الحزب الوطنى فى مصر وقد اثار بكتاباتة حربا عوانا على الانكليز بمصر وكان قدناؤه فى مجرى السياسة خديوى مصر عباس حلمى باشا الذى كان من ديدنه الخنوع للانكليز وضايقته الحكومة

المصرية حتى اضطر ان يارح القاهرة وقدم القسطنطينية فالضم الى حزب
الاتحاديين فيها وهناك تعرفت به وكثيرا مازرته وجاست اليه ثم ان
الحكومة المصرية طلبته مرة من حكومة القسطنطينية ولم يكن الحكم
اذاك للاتحاديين بل كان رئيس الوزارة يومئذ احمد مختار باشا الملقب
بالغازي فاسلمه احمد مختار باشا الى الحكومة المصرية فشق ذلك على
الاتحاديين واستاؤا منه وابتأسوا به وقد قلت في ذلك قصيدة اخاطبه بها
قلت فيها بعد ذكر ماجرى

ان العلى همست اليك بسرها	ولقد فهمت كلامها المهموسا
فنهضت بين المسلمين تلهم	وتجد منهم مخلقا ودريسا
فرماك منهم حاندوك بتهمة	ملاؤوا الفضاء بزورها تدليسا
ان يبغضوك فان حبك لم يزل	في قاب كل موحد مغروسا
والشمس تشهدان فضلك مثلها	يحي النفوس ويقتل الخديسا
يا ليت شعري أى كاس مرة	لك اءهقوا مذجروك البوسا
وبأى ساسلة رموك مكبلا	وبأى سجن ثادروك حيسا
قدبت من جزعى عليك منجما	في الليل عنك اسائل البرجيسا
ان يسجنوك فان ذكر مطلق	يجنى الثناء ويقطف التقديسا
او يوحشوك بقعر سجنك مردا	فالحق عندك قد افام انيسا
ولئن لقيت اذى فكم من مصلح	لنى الاذاة منتجعا متعوسا

ومن خطباء العصر الامير شكيب ارسلان وهو عربى قح من ذوى
الفصاحة واللسن يتكلم بكلام الاعراب الاقحاح وقد برز في صناعى
المنظوم والمنثور وهو في كليهما ينسج نسيج البداوة على منوال الحضارة
فترى في شعره وكتابانه جزالة البدوى ورقة الحضرى وهل هو
في كتابته ابرغ منه في شعره او الامر بالعكس هذا ما اتردد في الجواب
عليه الآن لان الذى قرأه من رسائله واشعاره في الصحف السيارة قليل
جدا بالنسبة الى مافاتى ولماره والحكيم البات متوقف على استقرار ذلك

واستقصائه . والامير شكيب من بيت رفيع العماد من اصراء لبنان ويقال ان نسبه ينتهي الى النعمان بن المنذر .

ومن الخطباء الشيخ صالح الشريف التونسي وهو من العلماء الفضلاء وقد شهدت له خطبة خطبها مرة في قسطنطينية تكلم فيها على العصية القومية بكلام احسن فيه الا اني رأيت يتشادق في القول .

ومن الخطباء الشيخ اسعد شقير وهو ذوبداهة فاق فيها على خطباء عصره فتراه اذا خطب متجايقتضب الكلام اقتضابا الا انه من جهة الفاظه لا يعد من المبرزين في الفصاحة وهو مع ذلك مكثار يكاد في كثرة كلامه ينجح الى الثثرة وقد شهدت بعض خطبه في قسطنطينية وهو يحسن الخطابة بالتركية ايضا كالعربية .

ومن الخطباء محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس وهو عالم فاضل ذو بحث وتنقيب في العام لا يجاريه فيه احد وهو من مشاهير الكتاب في هذا العصر بارع جدا في ترسله الا انك تحس في كتابته بشيء من الجفاف ووحدة السياق وذلك مغتفر في جنب ما ترى فيها من السهولة وحسن الاتساق ومحمد كرد علي اول صديق صادقته على الغياب اذ كنت كاتبه وهو بمصر حيث كان ينشر مجلته المقتبس ثم انه عاد الى وطنه دمشق الشام واخذ ينشر فيها مجلته مع صحيفة يومية باسم المقتبس ايضا وقد اجتمعت به هناك لما عجت على دمشق في طريقي الى قسطنطينية وهو اليوم في دمشق .

ومن الخطباء الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر وهو عالم فاضل ومعدود في الكتاب الا ان اسلوبه في الكتابة هزيل معروق لا يسمن ولا يغني من جوع وهو الى العام اقرب منه الى الفصاحة واللسن وقد شهدت خطبة له خطبها في قسطنطينية فرأيت فيه من معائب الخطيب انه ضئيل الصوت ولضوالة صوته كان يتشادق في كلامه تشادقا باردا جدا وفيه ايضا لغة خفيفة في حرف الراء وفيه لكنة عامية ايضا فانه

اذا قال كذا قال كذا واذا قال ذلك قال ذلك واذا قال نظرت قال
نظرت الا انه مكشـار جدا لا يعجز عن الاطالة وربما خرج عن اول
الكلام الى ما لا يقتضيه المقام ولولا ذلك لحدث منه الاطالة .

ومن الخطباء الشيخ مصطفى الغلابي صاحب مجلة التبراس ببيروت
وهو معدود في العلماء والكتاب والشعراء ايضا الا انه لا يجيد في شعره
كما يجيد في كتابته وله كتب ورسائل غير قليلة وقد اجتمعت به في بيروت الا
اني لم اشهد شيا من خطبه وقد اخبرت عنه انه مفوه يسيل غربا في الخطابة .
ومن خطباء العصر فيلكس فارس صاحب جريدة الاتحاد ببيروت
وهو ذو قدم راسخة في الادب وهو خطيب وكاتب وشاعر لكنه في كتابته
اعلى منه في شعره وهو ايضا يجيد الترجمة من الفرنسية الى العربية وقد اجتمعت
به مرة في حاب فقرأ لي شعرا متشورا للشاعر الفرنسي فيكتور هوغو وكان
قد ترجمه الى العربية فاحسن فيه كل الاحسان وهو معدود في الخطباء المبرزين .
ومن الخطباء المبرزين في الخطابة الاديب الفاضل اسكندر العازار
وقد اجتمعت به في بيروت وهو من الخطباء المشهورين في تلك الديار
وهو اذا خطب يشوب كلامه ببعض الظرف والوزل وهو شاعر ايضا .
ومن خطباء تلك الديار الياس طراد العالم الفاضل وكذلك ابراهيم
الخوراني وانطون شحير وامين الريحاني وبشارة الخوري صاحب جريدة
البرق وداود مجاعص صاحب مجلة الحرية وغيرهم ممن لا اتذكر اسماءهم
الآن وهؤلاء كلهم من لبنان وكلهم خطباء وفيهم الشاعر المجيد كبشارة
الخوري والفيلسوف الحكيم كامين الريحاني والكاتب البارع كداود مجاعص .

المبحث السابع عشر

في

ذكر بعض الخطب المشهورة

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما الدنيا امل مخترم واجل

متقض وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله
امراً فكّر في امره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه بئس الجار
الغنى يأخذ بما لا يعطيك من نفسه فان ابيت لم يعذرك . اياكم والبطنة فانها
مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد
في قوتكم فهو ابعد من السرف واصح للبدن واقوى على العبادة وان العبد
لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وله ايضا من خطبة في الحث على السعي قال :

لا يقعد احدكم عن طاب الرزق وهو بقول اللهم ارزقني وقد علم
ان السماء لم تمطر ذهباً ولا فضة والله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من
بعض فقد قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانثروا في الارض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

(خطبة لمعاوية بن ابي سفيان)

قال الجاحظ رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطري وغيره قالوا
لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب قال نفر من قريش
يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم قال لا ادري قال فوالله ما لهم
بعدي الا الذي يسؤهم واذن للناس فدخلوا فحمد الله واثى عليه
واوجز ثم قال يا ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن شديد
يعد فيه المحسن مسيئاً ويزاد فيه الظالم عتوا لانتفع بما علمناه ولا نسأل
عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فاناس على اربعة اصناف
منهم من لا يمنع من الفساد في الارض الامهانة نفسه وكلال حده ونضيض
وفره ومنهم المصات لسيفه المحجاب بخيله ورجله والمعان بشره قد اشرط
نفسه واوبق دينه لحطام ينهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس
المتجر ان تراها لنفسك ثمنا ولمالك عند الله عوضا ومنهم من يطلب
الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه

وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ
سترالله ذريعة للمعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه
وانقطاع سببه فقصرت به الحال عن امله فتحلى باسم القناعة وتزين
بلباس الزهاد وليس من ذلك في صراح ولا مغدى وبقي رجال غص
ابصارهم ذكر المرجع وارق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر
وخائب منقمع وساكت مكعوم وداع مخاص وموجع نكلان قد
اخلمتهم التقية وشماهم الذلة فهم بحر اجاج انواهم صنامرة وقلوبهم
قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوبا فلتكن
الدنيا في اعينكم اصغر من حذالة القرظة وقراضة الجلمين واتعظوا
بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فارفضوها ذميمة فانها قد
رفضت من كان اشغف بها منكم .

فالجاحظ وفي هذه الخطبة ضروب من العجب منها ان هذا الكلام
لا يشبه السبب الذي من اجله دعاهم معاوية ومنها ان هذا المذهب في تصنيف
الناس وفي الاخبار عنهم وعمامهم عليه من القهر والاذلال من التقية والخوف
اشبه بكلام علي وبمعانيه وبجمله منه بحال معاوية ومنها ان لم نجد معاوية
في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب
العباد قال وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه انهي قلت اما انا فلا
ارى في هذه الخطبة شياً من العجب ذلك لان معاوية انما دعاهم واذن
لهم بالدخول لما سمع من انهم شامتون به يتباشرون بموته فاراد ان
يكلمهم بكلام البواعظ المقرع والزاجر الموبخ فسلك في كلامه مسلك
الزهاد جريا على ما اقتضاه المقام وفي كل جملة من كلامه هذا تعريض بهم
كأهو ظاهر واما ان هذا الكلام اشبه بكلام علي وبمعانيه فقد قلنا ان
معاوية تعمد في هذا المقام التشبه بعلي وامثاله توصلنا الى تبكيت حاسديه
الشامتين دون ان يظهر لهم جزعا من الموت ولعمري ان هذا مما يدل
على دهاء معاوية وحسن تجلده .

(خطبة لعبدالله بن الاهتم عند عمر بن عبدالعزيز)

قال الجاحظ قال ابو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكري عن خالد بن صفوان قال دخل عبدالله بن الاهتم على عمر بن عبدالعزيز مع العامة فلم يفجأ عمر الا وهو مائل بين يديه يتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله خالق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون والعرب بشرتك المنازل اهل الوبر واهل المدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها ميتهم في النار وحيهم اعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلبا اراد الله ان ينشر فيهم رحمة بعث اليهم رسولا منهم عزيز عليه ما عتم حريص عايكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فلم يمنعهم ذلك ان جرحوه في جسمه ولقبوه في اسمه ومعه كتاب من الله لا يرحد الا بامر ولا ينزل الا باذنه واضطروه الى بطن غار فلما امر بالغرامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته واعلى كلمته واظهر دعوته ففارق الدنيا نقيا تقيا صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام بعده ابو بكر رضى الله عنه فسلك سنته واخذ بسبيله وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الذي كان قابلا منهم فايتضى السيوف من اغمادها واوقد النيران من شعلها ثم ركب باهل الحق اهل الباطل فلم يبرج يفصل اوصالهم ويسقى الارض دماءهم حتى ادخلهم في الذي خرجوا عنه وقررهم بالذي نفروا منه وقد كان اصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداله فرأى ذلك غصة عند موته في حلقه فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرى اليهم منه وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمصر الامصار وخلط الشدة باللين فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد للامور اقرانها وللحرب آئنها فلما اصابه قن المغيرة بن شعبة امر

ابن عباس ليسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له قن المغيرة استهل
بحمد الله ان لا يكون اصابه ذوق في النقي فيستحل دمه بما استحل
من حقه وقد كان اصاب من مال الله بضعا وثمانين الفا فكسر بها رباعه
وكره بها كفالة اهله وولده فادى ذلك الى الخليفة من بعده وفارق الدنيا
تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما ثم انا والله ما اجتمعنا
بعدها الا على ظلع ثم انك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقمتك ثديها
فلما وليتها القيتها حيث القاها الله فالحمد لله الذي جلابك حوبتها وكشف
بك كربتها امض ولا تلتفت فانه لا يغني من الحق شيئا اقول قولي هذا
واستغفر الله لكم وللمؤمنين والمؤمنات .
قال ولما ان قال ثم انا والله ما اجتمعنا بعدها الا على ظلع سكت
الناس كلهم الا هشاما فانه قال كذبت .

(خطبة امر بن عبد العزيز)

قال ابو الحسن حدثنا المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن ابيه
قال خطب عمر بن عبد العزيز بمخاضة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات
رحمه الله . فحمد الله وانى عليه ثم قال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبنا
ولم تتركوا سدى وان انكم معادا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج
من رحمة الله التي وسعت كل شئ وحرمت الجنة التي عرضها السموات
والارض واعلموا ان الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا
بباق الأترو انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون
كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم اتم في كل يوم تشيعون غاديا وراثما
الى الله قد قضى نجه وبلغ اجله ثم تضيونه في صدع من الارض ثم تدعون
غير موسى ولا محمد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب
غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايم الله انى لا قول لكم هذه المقالة وما
اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما عندي فاستغفر الله لي ولكم

وماتبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا الاسد دناها ولا احد منكم الا وددت ان يده مع يدي ورحمى الدين يلوتنى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله ان لو اردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا علما باسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن مصيئته . ثم بكى فلتقى دموع عينيه بطرف رداؤه ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله .

(خطبة ابى حمزة الخارجى)

قال الحافظ دخل ابو حمزة الخارجى مكة وهو احد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وامره ووجه انزل الله له كتابا بين له فيه ما ياتى وما يتقى فلم يكن فى تلك من دينه ولا شبهة فى امره ، ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمون معالم دينهم وولى ابا بكر صلاتهم فولاد المسلمون امر دنياهم حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم امر دينهم فقاتل اهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة ووجي الفى وفرض الاعطية وجمع الناس فى شهر رمضان ووجد فى الحرم ثمانين وغزى العدو فى بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عثمان بن عفان فسارست سنين بسيرة صاحبه وكان دونهما ثم سار فى الست الاواخر بما احبط به الاوائل ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى على بن ابى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى معاوية بن ابى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا ودينه دغلا ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الخمر ويزيد القروود ويزيد اليهود الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه . ثم اقتصم

خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبدالعزيز اعرض عنه ولم يذكره . ثم قال
ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المأبون في فرجه الذي لم يؤنس منه
رشد وقد قال الله تعالى في اموال اليتامى فان آنس منهم رستاد فادفعوا اليهم
اموالهم فامرامة محمد اعظم . يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة
قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وبهتكت فيها الاستار واخذت
من غير حلها . حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا اخذ
الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت الى احدها فقال الا اظير . نعم
فطر الى لعنة الله وحريق ناره واليم عذابه . واما بنو امية ففرقة ضلالة
وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى وبقتلون على الغضب
ويحكمون بالشفاعة يأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير
اهلها وقدين الله اهلها فجعلهم ثمانية اصناف فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف ناسع ليس منها فاخذ كلها تلکم الفرقة
الحاكمة بغير ما انزل الله . واما هذه الشيع فشيعة ظهرت بكتساب الله
واعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين ولا يعلم
نافذ في القرآن يتقمون المعصية على اهلها ويعملون اذا ولوا بها يصرون
على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان يؤملون
الدول في بعث الموتى ويعتقدون الرجعة الى الدنيا قلدوا دينهم رجلا لا ينظر
لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون . ثم اقبل على الحجاز فقال يا اهل الحجاز
أتعبرونني باصحابي وتزعمون انهم شباب وهل كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا شبابا اباؤ الله انى لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم
ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما ركت الاخذ فوق ايديكم . شباب والله
مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة الى الباطل ارجلهم
انصاء عبادة واطلاح سهر فنظر الله اليهم في جوف الليل منحنية
اصلاهم على اجزاء القرآن كلما مر احدهم بذكر آية من ذكر

الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن
زفير جهنم بين اذنيه موصول كلا لهم بكلالهم كلال النهار بكلال النهار
قد اكلت الارض ركبهم وايديهم وانوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في
جنب الله حتى اذارأوا السهام قد فوقت والرماح قد اشرعت والسيوف
قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد
الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على
عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض
وانحطت اليه طير السماء فكم من عين في مناقير طير طالما بكى صاحبها
في جوف الليل بالسجود لله . ثم قال أوه أوه أوه ثم بكى ثم نزل .

(خطبة قطري بن الفجاءة)

وهي تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان القبور وصفا بديعا
قال الجاحظ صعد قطري بن الفجاءة منبر الازارقة وهو احد بنى مازن
ابن عمرو بن تميم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني احذركم
الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت
بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لاتدوم حبرتها ولا تؤمن
فجمعها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة ونافذة بأداة اكلة
غوالة بذلة نقالة لاتعدو اذا هي تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا
عنها ان تكون كما قال الله تعالى كفاء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . مع ان امرأ
لم يكن منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبيرة ولم يلق من سراها بطنا الامنحته
من ضرائها ظهرا ولم تطله غيثة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرى اذا
اصبحت له منتصرة ان تسمى له خاذلة متكررة وان جانب منها عدوذب واحلولى
امرأ عليه جانب واوبى وان امت امرأ من غضارتها ورفاهيتها نعمما ارهقته
من نوائبها تبعسا ولم يمس امرؤ منها في جناح امن الا اصبح منها على قوادم .

خوف غمارة غرور ما فيها فان ما عليها لا خير في شيء من زادها الا التقوى
من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه
ويبكي عينيه كم وائق بها قد افجته وذى طمأنينة اليها قد صرعه
وذى اختيال فيها قد خدعته وكم من ذى ابهة بها قد صيرته حقيرا وذى
نخوة قدرته. ذليلا وكم من ذى تاج قد كته للدين والفم سلطانها دول
وغيتها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سهام واسبابها
رمام قفافها سلع حثيا بعرض موت وصحيحها بعرض سقم
ومنيعها بعرض اهتضام . مايكها مسلوب وعزبها مغلوب وسليمها
منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلاع
والوقوف بين يدي الحكم المدل ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى
الذين احسنوا بالحسنى . ألتسم فى مساكن من كان اطول منكم اعمارا
واوضح منكم آثار واعد عديدا واكثف جنودا واعتد عتودا تعبدوا
للدنيا أى تعبد وآثروها أى ايثار وظعنوا عنها بالكرد والصفار فهل
يلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بقدية او اغتت عنهم فيما قد اهلكتهم
يخطب بل قد ارهقتهم بالقوادح وضععتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب
وقد رأيتم تنكروها لمن زان لها واخذ اليها حين ظعنوا عنها لفراق
الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء واحلنهم الا الاضنك او نورت
لهم الا الظلمة او اعقبهم الا الندامة أفهذه تؤثرون ام على هذه تحرصون
ام عليها تطمئنون يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . فبئست الدار لمن اقام
فيها فاعلموا واتم تعلمون انكم تاركوها لابد فانما هي كما وصفها الله باللعب
واللهو وقد قال الله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم
تخذون . وذكر الذين قالوا من اشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم

فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب ا كفسان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يحييون داعيا ولا يمتعون ضيما ان اخصبوا لم يفرحوا وان اقحطوا لم يقنطوا جمع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متادون لا يزورون ولا يزارون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجي دفعهم وكما قال الله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم وكنا نحن الوارثين استبدلوا بظهر الارض بطننا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالتور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غير ان ظننوا باعمالهم الى الحياة الدائمة والى حلول الابد يقول الله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقا واياكم اداء حقه .

(خطبة لعبيد الله بن زياد بالبصرة)

قال الجاحظ صعد عبيد الله بن زياد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب اليربوعي قد جمع الجموع يريد خلعه فقال يا اهل البصرة انسبوني فوالله ما مهاجر ابى الا اليكم وما مولدى الا فيكم وما انا الا رجل منكم والله لقد وليكم ابى وما مقاتلتكم الا اربعون الفا فبلغ بها ثمانين الفا وما ذريتكم الا ثمانون الفا وقد بلغ بها عشرين ومائة الف واتم اوسع الناس بلادا واكثرهم جنودا وابعد مقادا واغنى الناس عن الناس انظروا رجلا تولونه امركم يكف سفهاءكم ويحبي لكم فيكم ويقسمه فيما بينكم فانما انا رجل منكم . قال فلما ابوا غيره قال انى اخاف ان يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بامرى .

(خطبة يزيد بن الوليد)

هو الخليفة الثانى عشر من بنى امية وهو الذى ولد فى الكعبة ولم

يولد في الكعبة خليفة غيره وامه من بنات يزدجرد بن كسرى وهو
الذى قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما رأى منه المنكر. قال
الجاحظ ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك
قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله ما خرجت أشرا
ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي أطرى نفسى وأنى
لظلم لها ولقد خسرت ان لم يرحمنى ربى ولكنى خرجت غضبا لله ودينه
وداعيا الى الله وسنة نبيه ما هدمت معالم الهدى واطفى نور التقوى
وظهر الجبار الغنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع انه
والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب وانه لابن
عمى في النسب وكفى في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في امره
وسأله ان لا يكلنى الى نفسى ودنوت الى ذلك من اجابنى من اهل
ولايتى حتى اراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى
وقوتى أيها الناس ان لكم على ان لا تضع حجرا على حجر ولا لينة على
لينة ولا آكرى نهرا ولا اكنز مالا ولا اعطيه زوجا ولا ولدا ولا انقل
مالا من بلد الى بلد حتى اسد فقر ذلك البلد وخصاصة اهله بما يعينهم فان
فضل فضل نقله الى البلد الذى يليه ممن هو احوج اليه منه وان لا اجر لكم
في ثغوركم فافتكم وافتن اهلكم ولا اغلق بابى دونكم فيا كل قويمكم
ضعيفكم ولا احمل على اهل اهل جزيتكم ما اجلهم به عن بلادهم
واقطع نسلهم ولكم عندي اعطيتكم في كل سنة وارزاقكم في كل
شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون اقصاهم كادناهم فاذا انا
وافيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن الموازرة والمكافئة وان انا
لم اوف ليكم فلكم ان تخلعوني الا ان تستيوني فان انا تبت قبلتم منى
وان عرقم احدا يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل
ما اعطيتكم فاردتم ان تبايعوه فانا اول من بايعه ودخل في طاعته أيها الناس
لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم -

قال الجاحظ فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصابه قال وكانوا
يقرؤون في الكتب يامبذرا للكنوز ياسجادا بالاسحار كانت ولايتك
رحمة وعليهم حجة اخذوك فصلبوك .

(خطبة الحجاج بعد ديرا الجاهم)

قال الجاحظ خطب الحجاج اهل العراق بعد ديرا الجاهم فقال يا اهل
العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع
والاطراف والاعضاء والشغاف ثم افضى الى الافحاح والاصباح ثم ارتفع
فعمش ثم باض وفرح فحشاكم نفاقا ونفاقا وانسعركم خلافا اخذتموه
دايلا تبعوناه وفأندا نطبعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة
وتعظكم وقعه او يحجركم اسلام او ينفعكم بيان ألستم اصحابي بالاهواز
حيث رمم المنكر وسعينم بالغدر واستجمعت الكفر وظنتم ان الله يخذل
دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفي واتم تتسللون لو اذا وتهزمون سراعا
ثم بوم الزاوية ومايوم الزاوية بها كان فشلكم وننازعكم ونخاذلكم وبراءة
الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذوايتم كالابل الشوارد الى اوطانها
النوازع الى اعطائها لايسأل المرء عن اخيه ولايلوى الشيخ على بنيه
حتى عضكم السلاح وقصمكم الرماح . ثم بوم ديرا الجاهم وما بوم ديرا الجاهم
به كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخليل عن
خيله يا اهل العراق الكفريات بعد الفجرات والغدرات بعد الحفريات
والنزوة بعد النزوات ان بعثكم الى انغوركم غللم وختم وان اتمتم
ارجفتم وان خفتم نافقتم لا بد كرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم
ناكت او استغواكم غاوا او استنفركم عاص او استنصركم ظالم او استعضدكم
خالع الا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه . يا اهل العراق هل
شغب شاغب او نعب ناعب او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره . يا اهل
العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع . ثم التفت الى اهل الشام

فقال يا اهل الشام انما انا لكم كالظلم الراح عن فراخه ينبي عنها المدر
ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب وبحرسها
من الذباب يا اهل الشام اتم الجنة والرداء وانتم العدة والحذاء .

(خطبة اخرى للحجاج ايضا)

قال ابن العربي في محاضرة الابرار ومن خطب الحجاج ماروينا من
حديث ابن ابي الدنيا قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا خلف بن
تمم انبا نا ابورجاء الهروي عن ابي بكر الهذلي قال رأيت الحجاج
يخطب على المنبر فسمعتة يقول ايها الناس انكم غدا موقوفون بين يدي الله
عز وجل ومسؤولون فلينق الله امرؤ ولينظر ما يعد لذلك الموقف فانه موقف
بخسر فيه المبطون ونذهل فيه العقول ويرجع الامر فيه الى الله انتجزي كل نفس
بما كسبت ان الله سريع الحساب بادروا اجالكم باعمالكم قبل ان تخترموا
دون آمالكم قال ثم بكى وأحسب وهو على المنبر فرأيت دموعه تنحدر على لحيته .
قلت ولاعجب من الحجاج ان يأمر الناس بالتقوى وهو على المنبر
وبدأ كرمهم بيوم الحساب لان من عادة الامراء في ذلك الزمان ان يتكلموا
كهذا الكلام اذا صعدوا المنابر فالحجاج انما امر بالتقوى وهو على المنبر
جريا على عادتهم في خطبهم وقد ذكرنا لك فيما سبق ما قاله ابن ابي بردة
سليمان بن عبد الملك من ان الحجاج كان يصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار
فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وانما العجب كل العجب منه انه يبكي حتى
تنحدر دموعه على لحيته فان قلنا انه في قوله كاذب فماذا نقول في بكائه
ودموعه . هذا لعمري في الفعال عجيب .

(خطبة اخرى لابي حمزة الخارجي المتقدم ذكره)

يؤبى فيها اهل المدينة

قال اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلة الرحم وتعظيم

ما صغرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظموا من الباطل وامانة
ما حيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى
العباد في طاعته فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى سنة الله
والقسم بالسوية والعدل في الرعية انا والله ما خرجنا بطرا ولا لهوا
ولا لدولة نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا ان الارض
قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى
وعطلت الاحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا
ينادى الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله واقبلنا من قبائل
شقي قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وآيدنا بنصره فاصبحنا
بنعمته اخوانا وعلى الدين اعوانا . يا اهل المدينة اولكم خير اول و آخركم
شر آخر انكم اطعمتم قرآءكم وفقهاءكم فاختانوكم بتأويل الجاهلين وانجال
المبطلين حتى اصبحتم عن الحق ناكين امواتا غير احياء وماتشعرون .
يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين انبعوهم باحسان
ما صح اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة
بالدين والبصائر الناقدة والقلوب الواعية واتم اهل الضلالة والجهالة
استعبدوكم الدنيا فاذلتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين
فافسدتموه واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه سراع الى الفتنة بطاء عن
السنة عمى عن البرهان صم عن العرفان عيىد الطمع حافساء الجزع نعم
ما ورتكم آباؤكم لو حفظتموه وبئس ما تورثون ابناءكم ان تمسكوا به نصر الله
آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل كان عدد آباءكم قليلا طيبا وعددكم
كثير خبيث اتبعتم الهوى فارداكم واللهم فاسهاكم تزجركم مواعظ الدين
فلا تزددجرون وتعبركم فلا تعتبرون سألناكم عن ولايتكم هؤلاء فقلتم
والله ما فيهم عادل اخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير محله وجاروا
في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيثنا فجعلوه دولة بين
الاغنياء منهم فقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا

في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لانقوى على ذلك ووددنا انا اصبنا
من يكفيننا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راع علينا وعليكم ان ظفرنا لتعطين
كل ذي حق حقه فحجنا فقابلنا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا
فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فوالله لو قاتم لا نعرف الذي نقول ولا نعلمه
لكان اعذر مع انه لا اعذر للجاهل ولكن ابى الله الا ان ينطق بالحق
على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة .

(خطبة لواصل بن عطاء وهي خلو من الرء كما ترى)

قال الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوّه
ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما
خاق ولم يخلقه على مثال سبق بل انشاء ابتداء وعدله اصطناعا فاحسن
كل شيء خلقه وتم مشيئته واوضح حكمته فدل على الوهيته فسبحانه
لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل
شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يمزب عنه مثقال حبة وهو السميع
العليم واشهد ان لا اله الا الله وحده الها تقدست اسماؤه وعظمت
آاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتزده عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه
الاوهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يعصى فيعلم ويدعى فيسمع
ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون واشهد شهادة
حق وقول صدق باخلاص نية وصحة طوية ان محمد بن عبدالله عبده
ونبيه وخالسته وصفيه ابتغته الى خلقه بالينة والهدى ودين الحق فبلغ
مألكته ونصح لامته وجاهد فيه سبيل الله لاتأخذه في الله لومة لأثم ولا
يصدده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى اتاه اليقين
فصلى الله على محمد وعلى آل محمد افضل وازكى واتم وانمى واجل واعلى
صلاة صلاها على صفوة انبيائه وخالصة ملائكته واضفاف ذلك انه

حميد مجيد اوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانة
لمعصيته واحضكم على ما دنيكم منه ويزانكم ليد فان تقوى الله افضل
زاد واحسن عاقبة في معاد ولا يلهينكم الحياة الدنيا بزيناها وخذعها
وفوان لذاتها وشهوات آمالها فانها مناع قليل ومدة الى حين وكل سى
منها زول فكم عابنتم من اعاجيبها وكم نصبت لكم من حباثلها واهلكت
من جنح البها واعتمد عليها اذ اقمهم حلوا ومزجت لهم سما ابن الملوك
الذين بنوا المدائن وسيدوا المصانع واوثقوا الابواب وكاثفوا الحجاب
واعدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا التلاد قبضتهم ثم حملها
وطحنهم بكلكلها وعظنهم بايائها وعاضنهم من السعة ضيقا ومن العزة ذلا
ومن الحياة فناء فسكنوا للحدود واكلهم الدود واصبحوا لا تشاهد الا
مساكنهم ولا نجد الا معالمهم ولا نسمع منهم ولا نسمع لهم نسا
مزودوا عافا كآلة الله فن افضل الزاد الصوى واقوا الله يا اولى الالباب لعلكم
تفاجون .

المبحث الثامن عشر

(في بيان المنهج الذى يجب على من زاول الخطابة ان ينهجه)
قد رأينا ان نختتم هذه الرسالة بما ذكره الجاحظ من كلام لسرين
المعتمر في الخطابة والمنهج الذى انهجه لها فنقول
قال الجاحظ مر بسر بن المعمر بابراهيم بن جامة بن خرمه السكونى
الخطيب وهو يعلم قتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف
ليستفيد او يكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صمحا
واطوا عنه كصمحا ثم دفع اليهم صحيفة من نحييره وتتميقه وكان اول ذلك
الكلام : خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابها اياك فان
قليل تلك الساعة كرم جوهرها واشرف حسبا واحسن فى الاسماع واحلى
فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ واجاب لكل عين وغرة من لفظ

شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك
الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما اخطاك
لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيقا على اللسان سهلا وكما خرج
من بذوعه ونجم من معدنه واياك والتوسع فان التوسع يسلمك الى التعبد
والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن اراع معنى كريما
فليتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حصمها
ان تصونها عما يفسدها ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون
اسوأ حالا منك قبل ان تلتبس اظهارها ونزهن نفسك بملاستهما وقضاء
حقهما . وكن في ثلاث منازل فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رسفا
عذبا وفحما سهلا ويكون معاك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا اما عند
الخاصة ان كنت للاخاسة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامه اردت
والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس ينضع
بان يكون من معاني العامة وانما مدار السرف على الصواب واحرار
المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المتعالي . وكذلك اللفظ
العامي والخاصي فان امكنت ان تبلغ من بيان اسانك وبلاغة قلمك
ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معاني الخاصة
وتكسوها الالفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهاء ولا تجفو عن الاكفاء
فانت البليغ النام . فان كانت المنزلة الاولى لا توانيك ولا تعتربك ولا
تسبح لك عند اول نظرك في اول تكلتك وتجد اللفظة لا تقع موقعها
ولم تصر الى قرارها والى حقها من اماكنها المفسومة لها والقفية لم تحل
في مركزها وفي نصابها ولم نتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة
من موضعها فلا تكررهما على اغتصاب الاماكن والزول في غير اوطانها
فانك اذا لم نتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المشهور
لم يعبك بترك ذلك احد وان انت تكلفت ذلك ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا
محكما لسانك بصيرا بما عليك او مالك عابك من انت اقل عيا منه ورأي

من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك او سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لاتعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة او جريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهامال فالمنزلة الثالثة ان تحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشئ لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لان النفوس لاتجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا .

قال بئر فلما قرئت على ابراهيم قال لي انا احوج الى هذا من هؤلاء الفتيان .

ومما يحسن ان يذكر في هذا الباب ما نقله الجاحظ ايضا عن اسحاق ابن حسان بن فوهة من انه قال لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة فقال البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات الين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . قال الجاحظ كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العبد وخطبة الصلح وخطبة

المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزئه فانه لاخير
في كلام لا يدل على معضاك ولايشير الى مغزاك والى العمود الذى اليه
قصدت والغرض الذى اليه نزعتم . فال قليل له اى لابن المقفع فان مل
المستمع الاطالة التى ذكرت انها حق ذلك الموقف فقال اذا اعطيت كل
مقام حقه وقت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف
حقوق الكلام فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما
شىء واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شىء لاتناله
وقد كان يقال « رضا الناس شىء لاينال » انتهى .

هذا ما اردنا جمعه وتلفيقه فى هذه الرسالة ونسأل الله تعالى ان

ينفع به طالبيه انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وقد

وقع الفراغ من تسويدها لاجدى وعشر بن

ليلة خلت من شعبان سنة خمس

وثلاثين وثلاثمائة

بعد الالف

م م

م

فهرس مفصل للكتاب

صحيحة

- ٥ المبحث الاول في البيان وفيه ذكر اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ . وفيه تعريف الخطبة والفرق بينها وبين الوصية . وفيه بيان ان العرب كانوا احوج الامم الى الخطابة وذلك من دواعى ارتقاؤهم فيها .
- ٧ المبحث الثانى فى قوام الخطابة وآدابها وفيه بيان ان من لم يكن له طبع فى الخطابة لا يكون خطيبا كما ان من لم يكن له طبع فى الشعر لا يكون شاعرا .
- ١١ المبحث الثالث فى محاسن الخطباء .
من محاسن الخطيب جهارة الصوت .
ومنها ان يكون سديد العارضة .
ومنها ان يكون كثير الريق .
ومنها ان يكون ذاهية حسن السمى والبزة جيد الصورة جليل المنظر حلاقا سهلا بن هارون فى ذلك .
- ١٤ المبحث الرابع فى معاييب الخطيب .
فمن معاييب الخطيب ان يكون لجاجا .
ومنها ان يكون نمتاما .
ومنها ان يكون فافا .
ومنها ان يكون التبع وفيه بيان اللثغة العامة الموجودة اليوم .
ومنها ان يكون ذا حبسة .
ومنها ان يكون ذا حكلة .
ومنها ان يكون الف .
ومنها ان يكون هذارما .

ومنها سقوط بعض اسنانه دون الجميع :

ومنها ان يكون انحنى .

ومنها ان يعتز به البهر والارتعاش والبرق في اثناء الخطبة .

٥٢ المبحث الخامس في حاجة الخطيب الى الاساره . وفيه بيان لبعض

ماجرت بالعادة من صور الاساره في الكلام . وفيه بيان ما وقع

لابي شمر من الالاف في لزوم الاشارة .

٣٠ المبحث السادس في المختصره والعباء . وفيه بيان السهام العربية وبيان

ان من عاداتهم اتخاذ المختصر والمعنى . وبيان ان الشبويه وقعت

على العرب هذه العادة .

٣٤ المبحث السابع في انواع الخطب عند العرب وهي عشرة

الاولى خطبة الجمعة .

الثانية خطبة العيد . وفيه بيان ان خطب النداء والامراء

غير مقصورة على اجمع والاعياد . وفيه ذكر خطبتين لامه على

كرم الله وجهه .

٣٦ الثالثة خطبة الصالح .

٤١ الرابعة خطبة الجمالة وفيه بيان ان خطاب اصالح غير خطب الجمالة .

وان من عاداتهم الاطالة في مثل هذا الخطب

٣٧ - امامة خطبة المواهب

٣٩ السادسة خطبة يوم الحنل . وفيه بيان ان خطاب يوم الحنل غير

خطب الموسم وفيه ذكر خطبه لابي بكر الصديق رضي الله عنه

خطبها يوم السقيفة .

٤٠ السابعة خطبة بين السماطين وفيه ذكر خطبة لابي زهوان العلاني

عند سفيد بن مسام والى ارمينية .

٤١ الثامنة خطبة التأيين وفيه ذكر خطبة لعائشة على قبر ابها رضي الله

عنهما وذكر خطبة لفرغانة بنت اوس على قبر الاحنف بن قيس

وذكر خطبة لعمر بن عبدالعزيز على قبر ابنه عبدالملك وذكر
خطبة لابي ذر الهمداني على قبر ابنه ذر وذكر خطبة لاعرابية
على قبر ابنها .

٤٣ التاسعة خطبة الموسم وفيه بيان ما كان للعرب من المواسم والاسواق
وان اسواقهم كانت كندية علمية ومجتمعات لغوية ادبية وانهم كانوا
يخطبون في الموسم على رواحلهم . وفيه ذكر خبر قس بن ساعدة
عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه ذكر خطبة حجة الوداع وخطبة
قس بن ساعدة بالموسم . وذكر خطبة لابن عباس بالموسم .

٤٨ العاشرة خطبة النكاح . وفيه بيان ان من عادتهم ان يخطبوا وهم
قيام الا في خطبة النكاح وبيان ما لخطبة النكاح عندهم من الصعداء
وتوجيه ابن المقفع لقول عمر في ذلك

٥٢ المبحث الثامن فيما يلحق الخطيب من البتر والشوء عندهم . وفيه
ذكر خطبة زياد البترآء .

٥٦ المبحث التاسع في تمثيل الخطباء بالشعر وفيه ذكر خطبتين للحمجاج
انشد فيهما ممتثلا

٥٩ المبحث العاشر في منزلة الخطيب والشاعر عند العرب

٦١ المبحث الحادي عشر في ان الخطيب قد يكون شاعرا ايضا وفيه بيان
ان الخطيب غير الين البليغ وان الانسان قد يكون ذا بلاغة وبيان
ولا يكون مع ذلك خطيبا وان الذين جمعوا الخطابة والشعر قليل .
فمنهم عمرو بن الاهتم

ومنهم قس بن ساعدة الايادي .

ومنهم زيد بن جندب

ومنهم البيهت المجاشعي .

ومنهم الكميث بن زيد الاسدي .

ومنهم الطرماح بن حكيم .

ومنهم عمران بن حطان .

ومنهم نصر بن سيار .

ومنهم بشار بن برد .

ومنهم العتابي

ومنهم سهل بن هارون .

ومنهم ابراهيم السندي .

ومنهم عبدالله بن شبرمة .

ومنهم ابو الاسود الدثلي .

٧٢ المبحث الثاني عشر فيما يعرض للخطيب من الرتيج والحصر اثناء الخطبة . وفيه ذكر بعض من اصابهم الحصر في الخطابة من الخطباء الاولين . وفيه بيان ان عروض الرتيج والحصر غير معيب وان المعيب انما هو العي والخطل .

٧٥ المبحث الثالث عشر في اللحن وذكور من وقع لهم اللحن من البلغاء الاينساء وفيه بيان ان اللحن معيب بالخطابة مخل بادابها وفيه ايراد اعتراض على جعل اللحن معيبا في الخطابة والجواب عليه .

٨١ المبحث الرابع عشر في تخيير اللفظ وفيه بيان ان لكل مقام مقالا وانا اذا قلنا بوجوب تخيير اللفظ فاسنا نزيد ان الخطيب يجب عليه ان ياتي بالكلام الجزل مطلقا .

٨٣ المبحث الخامس عشر في صعوبة موقف الخطيب وفيه بيان ان المقدم على الخطابة لا يخلو عن احدى مرتبتين .

٨٥ المبحث السادس عشر في ذكر بعض الخطباء وانسابهم واحوالهم فمنهم الخلفاء الراشدون ابوبكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

ومن الخطباء الذين ذكرهم الجاحظ الفضل بن عيسى الرقاشي .

وابنه عبدالصمد بن الفضل وعمه يزيد بن ابان وابوه وجده .

- ومنه زبد بن علي بن الحسين .
ومنه سعيد بن العاصي وابنه عمرو بن سعيد الملقب بالاشدق
وحفيده سعيد بن عمرو بن سعيد .
ومنه سهيل بن عمرو الاعام .
ومنه ابو عمرو وابو سفيان ابا العلاء .
ومنه خالد بن سلمة المحزومي وهو ذو الشفة ودغفل بن حنظلة .
ومنه عبيدالله بن زياد بن ظبيان التيمي العائني .
ومنه عبدالله بن عباس .
ومنه داود بن علي وهو من خطباء بني هانم وكذلك سليمان بن
جعفر والدمكي .
ومنه خالد بن سموان الاهمي وكذلك ابوء سموان بن عبدالله
ابن الاهم .
ومنه حنظلة بن ضرار الضبي . وكذلك منحور بن غيلان من بني ضبة .
ومنه قطري بن الفجاءة وهو من خطباء الخوارج .
ومنه ابن صديقة الخارجي .
ومنه الضحالك بن قيس وهو من ائمة الخوارج .
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم نصر بن ملحان وعمران بن حطان
والمقطل قاضي عسكر الازارقة .
ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري .
ومن خطباء العرب سحبان وائل .
ومنه ابو عمار الطائي خطيب مذحج .
ومنه خويلد بن عمرو العشاء خطيب يوم الفجار .
ومنه كعب بن اوى .
ومنه مرة بن فهم التليد .

- ومنهم سيب بن سيدة بن عبدالله بن عبدالله بن الاهتم .
ومنهم جعفر بن يحيى بن خالد .
ومنهم ثمامة بن اشرس .
ومنهم زرعة بن ضمرة من بني هلال بن عامر .
ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي .
ومنهم واصل بن عطاء المقاب بالجزال .
ومن خطباء هذا العصر عبدالعزى التونسي .
ومنهم الشيخ عبدالعزى ساويش صاحب مجلة الهداية .
ومنهم الامير سكيب ارسلان .
ومنهم الشيخ صالح الشريف التونسي .
ومنهم الشيخ اسعد سنقىر .
ومنهم محمد كرد على صاحب مجلة المقتبس بالشام .
ومنهم الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار بمصر .
ومنهم الشيخ مصطفى الغلابى صاحب مجلة النبراس ببيروت .
ومنهم فياكس فارس صاحب جريدة الاتحاد ببيروت .
ومنهم اسكندر العازار .
ومنهم الياس طراد و ابراهيم الحوراني وانطون سحير وامين
الريحان وبشارة الحورى صاحب جريدة البرق وداود مجاعص
صاحب جريدة الحرية .
- ١٢٠ الميحدث السابع عشر في ذكر بعض الخطب المشهورة .
خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .
خطبة لمعاوية بن ابى سفيان وقد اظهر الجاحظ العجب من نسبة
هذه الخطبة الى معاوية وقد تعقبنا الجاحظ في ذلك .
خطبة لعبدالله بن الاهتم عند عمر بن عبدالعزى .
خطبة لعمر بن عبدالعزى وهى آخر خطبة له .

- خطبة لابي حمزة الخارجي .
خطبة لقطري بن الفجاءة وهي تتضمن وصف الدنيا ووصف سكان
القبور وصفا بديعا .
خطبة لعبيدالله بن زياد بالبصرة .
خطبة لعبيدالله بن زياد بالبصرة
خطبة ليزيد بن الوليد وهي التي خطبها عقب قتله ابن عمه الوليد بن
يزيد وهي خطبة بديعة في بابها قد رسم فيها يزيد للامة خطته التي
يجري عليها في خلافته .
خطبة للحجاج بعدد يراجم .
خطبة اخرى للحجاج ايضا . وقد اظهرنا من هذه الخطبة العجب
كما اظهر الجاحظ العجب من خطبة معاوية .
خطبة اخرى لابي حمزة الخارجي يوضح فيها اهل المدينة .
خطبة لواصل بن عطاء وهي خالية من الرأ .
المبحث الثامن عشر في المنهج الذي يجب على من زاول الخطابة
ان يتهججه وفيه كلام بشريين المعتمر في تعليم الخطابة .

جدول

يتضمن اصلاح ما في الكتاب من الاغلاط

صحيحه	سطر	خطأ	صواب
٣	١	حمد لله	حمداً لله
٥	١٠	الفائل	القائل
٦	١٥	قاعدهم	قاعدهم
٩	٢٢	فيما يأتي	فيما يأتي
١٠	٩	اذا حقفته	اذا حقفته
١٢	٢	صاعنا	صلعنا
١٤	١٣	وسأني	وسأتي
١٨	١٤	فادرون	فادرون
١٩	٦	يزبد	يربد
٢٢	١٨	الصغير	الصفير
٢٦	١١	الميم	النتيم
٢٦	٢٠	القب	القلب
٣٨	١٤	مفاتيح	مفاتيح
٣٨	١٥	لايعنى عنك	لايعنى عنك
٥١	٩	انفة	انفه
٥١	١٥	امثك	امتك
٥٣	٥	لم توشخ	لم توشح
٥٤	١٩	نقبنا	نقبنا
٥٦	١١	ومنها	منها
٥٧	١٨	ووقفك	ووقفك
٦٤	٥	ققر	ققر
٦٥	١٢	الصغريه	الصفريه

صواب	خطأ	سطر	صفحة
قلبك	قلبك	٦	٦٦
الأكيمه	الأكيمه	١٤	٦٨
يستعصى	يستعصى	١١	٧٢
فلما	لما	٢٤	٧٣
يرزق	ق	٢٤	٧٣
قاتها	قلنها	٢	٧٥
قفاها	قعاها	١٦	٧٥
والعجب	•	٥	٧٦
قال	فال	١١	٧٦
فاخلفتم	فاخلعتم	٧	٧٧
ويقرب	ويقرب	٢٣	٨٠
القيح	الفيح	٧	٨٢
الفاترة	العاترة	٢٢	٨٢
لفلان	لعلان	٢٥	٨٢
ماتصع	ماتصع	١	٨٦
وابود	ويود	١٢	٨٦
فنزّل	فتزّل	١٣	٨٦
عليهم	عليهم	٩	٨٧
أفانم	أفانم	١٧	٨٧
الغفارى	الغعارى	٤	٩٠
والزبرقان	والزبرقان	١٥	٩٠
ولقد	ولعد	١٩	٩٠
فسؤتى	فسؤتى	١٦	٩١
المتحدثينا	المتحدثينا	١٩	٩١

صواب	خطأ	سطر	صحیفہ
ومن قال	ومن قال	۱۰	۹۴
حتى	حتى	۱۱	۹۶
لا ترانی	لا ترانی	۲۱	۹۶
خطيبا	خطيبا	۷	۹۹
أبن	أبن	۱۱	۹۹
جذام	جزام	۲۰	۱۰۰
اطانها	اطلنها	۱۲	۱۰۱
لخرقها	لخرقها	۱۲	۱۰۱
فاسم	فانم	۱۱	۱۰۳
اشربيا	اشربه	۱۷	۱۰۴
قنالا	قنالا	۸	۱۰۶
بانغہ	بلہ	۱۸	۱۰۸
جادة ما بين عيني	ما بين عيني	۱۳	۱۱۱

جدول

ينضمن اصلاح ما في الكتاب من الاغلاط

صواب	خطأ	سطر	صفحة
حداً لله	حد لله	١	٣
القائل	الفائل	١٠	٥
قاعدهم	قاعدهم	١٥	٦
فيما يأتي	فيما يأتي	٢٢	٩
اذا حققته	اذا نحققته	٩	١٠
صافنا	صاعنا	٢	١٢
وسأتي	وسأني	١٣	١٤
فادرون	فادرون	١٤	١٨
يربد	يزبد	٦	١٩
الصفير	الصفير	١٨	٢٢
المتيم	الميم	١١	٢٦
القلب	القب	٢٠	٢٦
مفاتيح	مفاتيح	١٤	٣٨
لا يغني عن	لا يعنى عنك	١٥	٣٨
انفه	انفة	٩	٥١
امتك	امتك	١٥	٥١
لم توشح	لم توشخ	٥	٥٣
نقينا	نقينا	١٩	٥٤
منها	ومنها	١١	٥٦
ووقفك	ووقفك	١٨	٥٧
فقر	ققر	٥	٦٤
الصفريه	الصفريه	١٢	٦٥

صواب	خطأ	سطر	صفحة
قلبك	قلبك	٦	٦٦
الأكيمه	الأكيمة	١٤	٦٨
يستعصى	يستعضى	١١	٧٢
فلما	لما	٢٤	٧٣
يرزق	ق	٢٤	٧٣
قاتها	قلنها	٢	٧٥
قفاؤها	قعاؤها	١٦	٧٥
والعجب	•	٥	٧٦
قال	قال	١١	٧٦
فاخلفتمكم	فاخلفتمكم	٧	٧٧
ويقرب	ويقرب	٢٣	٨٠
القييح	القييح	٧	٨٢
الفاترة	العاترة	٢٢	٨٢
لفلان	لعلان	٢٥	٨٢
ماتصع	ماتصع	١	٨٦
وابوه	وبوه	١٢	٨٦
قنزل	قنزل	١٣	٨٦
عليهم	عليهم	٩	٨٧
أفاتم	أفاتم	١٧	٨٧
الغفارى	الغفارى	٤	٩٠
والزبرقان	والزبرقان	١٥	٩٠
ولقد	ولعد	١٩	٩٠
فسؤتى	فسؤتى	١٦	٩١
المتحدثينا	المتحدثينا	١٩	٩١

صیغه	سطر	خطاً	سواب
۹۴	۱۰	ومن قال	ومن قال
۹۶	۱۱	حتى	حتى
۹۶	۲۱	لا ترانی	لا ترانی
۹۹	۷	خطبیا	خطبیا
۹۹	۱۱	أبن	أبن
۱۰۰	۲۰	جزام	جذام
۱۰۱	۱۲	لطانها	لعانها
۱۰۱	۱۲	لخرقها	لخرقها
۱۰۳	۱۱	فأتم	فأتم
۱۰۴	۱۷	أشربه	أشربه
۱۰۶	۸	قنالا	قنالا
۱۰۸	۱۸	بله	باعه
۱۱۱	۱۳	ما بين عيني	جلدة ما بين عيني

To: www.al-mostafa.com